

دليل اللاعنف

إرشادات عملية للعمل اللاعنفي

عنوان الكتاب: دليل اللاعنّف – إرشادات عملية للعمل اللاعنفي

The Nonviolence Handbook *A Guide for Practical Action*: العنوان الأصلي:

(Berrett-Koehler Publishers)

تأليف: مايكل ناغلر

ترجمة: عزة حسون

تصميم الغلاف: مركز مِتا

جميع الحقوق محفوظة للدار

الطبعة الأولى: دمشق 2015

معايير للنشر والتوزيع

سوريا، دمشق

ص. ب: 5866

هاتف: 00963-11-3312257

بريد إلكتروني: maaber@scs-net.org

دليل اللاعنف

إرشادات عملية للعمل اللاعنفي

مايكل ن. ناغلر

ترجمة: عزة حسون

معايير للنشر

2015

إلى كل المؤمنين أن الإنسانية قادرة على التحرر باللاعنف ومن لديهم الشجاعة
على اثبات ذلك.

اللاعنف أعظم قوة حظيت بها البشرية
المهاتما غاندي

تقديم

شرفني طلب البرفسور ناغلر أن أكتب تقديمًا لكتابه الممتاز لسببين: أولهما توقيت الكتاب - إذ توجد حاجة ضرورية حاليًا إلى تطبيق اللاعنف في كل مجال -، وثانيًا لأنّ ناغلر فعلاً جديرٌ بكتابة هذا الكتاب.

على مدى اثني عشر عامًا شاهدنا كيف لجأت الولايات المتحدة إلى العمل العسكري في محاولة لحل القضايا السياسية في أفغانستان والعراق وليبيا وباكستان والصومال واليمن. وكرست العواقب الكارثية لهذه الأعمال العسكرية قيمة المناهج المختلفة لحل الخلافات وطنياً ودولياً. والدليل الذي يقدمه ناغلر في اللاعنف تذكير صحي بوجود خيارات أخرى غير خيار العنف.

أكتب تقديمًا لدليل اللاعنف وأنا في طريقي إلى آسيا الشمالية الشرقية. وفي بلدين من التي زرتها مؤخرًا هنا يعتمد المواطنون فيهما إلى طرائق لاعنفية لتحدي الأعمال التي تقوم بها حكوماتهما. ومثل هذه النماذج هو بالتحديد ما يركز عليه البرفسور ناغلر بشكل أساسي (مع وجود أمثلة أخرى سيعرضها في الكتاب). على سبيل المثال في اليابان، حيث تتعرض المادة الخاصة بالحرب في الدستور الياباني للهجوم، نظّم المواطنون اليابانيون لجاناً دفاعية حسب المادة التاسعة

في كل قرية وكل ضاحية لجمع الدعم من أجل الدستور الذي نجح في حمايتهم من الحروب والأعمال العسكرية منذ الحرب العالمية الثانية. تعد جزيرة جيجو في كوريا الجنوبية موقع نضال (struggle) لاعنفي هام في مواجهة بناء قاعدة بحرية لمنظومة درع الصواريخ البالستية الدفاعية المشتركة بين كوريا الجنوبية والولايات المتحدة. وعلى مدى السنوات السبع الماضية تحدى سكان قرية غانغيونغ Gangjeong أعمال التدمير التي قامت بها حكومتهم في المنطقة البحرية القديمة مُدمرة أيضاً مستحاثات ماموث (أحد أنواع الفيلة المنقرضة) وتشكياً صخرياً من الحمم البركانية من أجل بناء القاعدة البحرية. استخدم سكان القرية في نضالهم عدة وسائل من بينها بناء معسكرات السلام على موقع صخري معروف باسم غورومبي Gurumbei وحاصروا بشرياً مداخل القاعدة وأبراج الإقلاع ونقلوا كمية هائلة من الأحجار الإسمنتية من أجل مكسر الأمواج على الرؤوس المرجانية النادرة وتسلقوا واحتلوا روافع البناء الهائلة الحجم وشكلوا سلاسل بشرية من آلاف الناس التي أحاطت بالقاعدة.

لم تنجح هذه المحاولات اللاعنفية العظيمة حتى الآن في منع بناء القاعدة البحرية. لكن من جهة أخرى وعلى جزيرة أوكلينو تحدى المواطنون احتلال جيش الولايات المتحدة واليابان لأكثر من خمس

وسبعين بالمئة من مساحة جزيرتهم، وأثمرت جهودهم في النهاية، فقد تم ترحيل عشرة آلاف شخصية عسكرية أمريكية من الجزيرة.

يبحث المواطنون حول العالم عن طرق لتحدي سياسات الدولة المؤذية وأشكال أخرى من الظلم. ويوضح كتاب دليل اللاعنف هذه الطرق. وعندما يعطينا أي شخص مفاتيح لكيفية تطبيق اللاعنف بأمان وفاعلية فإنه يقدم خدمة للبشرية. ولكن في هذا المجال ليس البرفسور ناغلر "أي أحد." فخبيرته الفائقة وغير العادية تسمح له بتوضيح نظرية اللاعنف المُلهمة والمُلحة ورؤيتها السامية للإنسانية والمراحل الأساسية في تاريخها الحافل. ويبقى لدينا في النهاية، كما يقترح العنوان الفرعي للكتاب، دليلاً عملياً في نوع العمل الذي يحتاجه العالم بشدة.

أعرف الشجاعة عندما أراها وقد رأيت شجاعة أكبر بين المواطنين الشجعان والمصممين في الأمثلة التي يوردها الدكتور ناغلر وممن رأيتهم شخصياً مقارنة بشجاعة القوات المسلحة التي اصطفت ضدهم. إنَّ الشجاعة المدعومة بمعرفة حول الاستخدام الذكي للاعنف كما يقدمه هذا الكتيب وصفة لعالم يسوده السلام والعدالة. أتمنى أن يستخدم الكثير من الناس هذا الكتاب لمساعدتنا في بناء هذا العالم.

آن رايت

عقيدة متعاقدة في الجيش الأمريكي وحائزة على جائزة الشجاعة من وزارة الخارجية

الفصل الأول مقدمة في اللاعنف

خَلَّف لنا القرن العشرون إرثاً مضاعفاً. فمن جهة كان زمن قسوة وعنفٍ شديدين ومن جهة أخرى لاحظنا بروز مظاهر نوع جديد من القوة أو بالأحرى استخدامات جديدة لقوة قديمة تستطيع قيادة الإنسانية إلى مستقبل أفضل. وانطلاقاً من الدليل الذي قدمه المهاتما غاندي على قوة اللاعنف في تحرير الهند من السيطرة الاستعمارية حتى لجوء مارتين لوثر كينغ إلى اللاعنف لتحرير السود من بعض أشكال القمع في الولايات المتحدة نجح عدد لا يُحصى من الناس حول العالم باستخدام اللاعنف، من مانيتا إلى موسكو ومن كيب تاون إلى القاهرة وحتى حركات "احتلوا" العالمية، وبدرجات متفاوتة، باستخدام جانب أو آخر من جوانب اللاعنف لزعزعة روابط الاستغلال والقمع.

تلامس ممارسة اللاعنف شيئاً أساسياً في الطبيعة البشرية، وتلامس ما نرغب أن نكونه كأفراد أو كشعوب. وقد قال غاندي ببساطة: "اللاعنف قانون نوعنا" (1). وأوضح الدكتور فاندانا شيفا Dr. Vandana Shiva القائد شهير في المقاومة الريفية في الهند خلال محاضرة حديثة أننا إن لم نتبن اللاعنف فإننا نخطر بانسانيتنا. وبالمثل يقول الناشط الكردي العراقي آرام جمال صابر Aram Jamal

Sabir إنَّ اللاعنف قد يكون أصعب وقد يتطلب أيضا تضحية أكبر من العنف ولكن "لن تفقد إنسانيتك في هذا العمل" (2).

يمكننا أن نقارن هذا مع المستويات المخيفة للاكتئاب وتعاطي المخدرات والانتحار بين الجنود الأمريكيين حالياً حيث قال أحد الجنود الأمريكيين لمخرجٍ وثائقي "لم أعد أحب من أكون. لقد فقدت روعي في العراق". وأطلع جندي آخر أحد أصدقائي الذي كان في طريقه إلى الشرق الأوسط كعضو في فريق صناع السلام المسيحيين: "ما زالت تطاردني الأشياء التي فعلناها... أنا مستعد للتخلي عن أي شيء مقابل العودة إلى الماضي وعدم القيام بالأمور التي فعلناها لكنني لا أستطيع ذلك. ولكن على الأقل أستطيع شكركم من كل قلبي على القيام بما تفعلونه" (3). من خلال هذه الكلمات الشاهدة على الطبيعة البشرية يمكننا معرفة تكلفة انتهاك هذا الجانب من طبيعتنا، ومعرفة الطريق إلى الخلاص.

بالتالي ليس من المفاجئ أنَّ الناس هنا وهناك قد أدركوا قيمة اللاعنف، فقد أدركها من يبحث عن فهم جديد تتناول الطبيعة والقدر البشري، وايضا من وجد نفسه يبحث عن صورة سامية مُلحة للبشرية. بصراحة تَعَبَّرُ النظرة العالمية الحالية والمؤسسات التي تقوم على هذه النظرة العنّفَ قانوناً، وتغيير هذا القانون سيقود إلى قفزة في التطور الثقافي. وقد يستطيع هذا حل أو توضيح كيفية حل مشاكلنا الاقتصادية

والبيئية والشخصية والدولية. باختصار قد يقود الاعتراف الكامل باللاعنف إلى إعادة كتابة قصة المصير البشري.

رغم هذا لا يفهم معظم الناس في وقتنا الحالي آليات اللاعنف بشكل كامل. يعلمون القليل عن إمكاناته أو كيفية استخدامه لتحرير أنفسهم والجميع من الطمع والطغيان والظلم. قد يكون اللاعنف راسخاً في طبيعتنا كما قال غاندي ولكنه لن يظهر في حياتنا ومؤسساتنا حتى يُفهم بشكل أفضل. بين الفينة والأخرى تظهر بشكل مستمر أحداث تتميز باستخدام اللاعنف، ولكن حتى نستخدمه بشكل آمن وفعال وبكل تأكيد حتى نستخدمه من أجل تغيير ثابت يلزمنا المعرفة والتخطيط.

الكر والفر والطريق الثالث

يظهر اللاعنف كأمر نادر رغم حالاته الاستثنائية وإمكاناته، وحتى إمكانية تطبيقه بحد ذاتها عرضة للتجاهل المستمر من قبل صناعات القرار. ويظهر العنف أو الأذى المقصود تجاه شخص آخر أو تجاه الكرامة البشرية أمراً شائعاً لدرجة يبدو فيها مقبولاً خاصة عندما نتحدث عن العنف البنوي أو الاستغلال أو السيطرة التي يقوم عليها نظام من الأنظمة. يبدو أنّ حالة الانتشار الكبير لظاهرة العنف وندرة اللاعنف لهما علاقة بالطريقة التي نرى بها العالم أكثر من ارتباطهما بحقيقة العالم كما هو. كانت طريقتنا في ممارسة العلم حتى القرن

العشرين تنزع إلى التشديد على المادية والانفصالية والمنافسة وهذا قادنا إلى صورة عن الطبيعة بأنها دموية. ومؤخراً فقط تغير العلم بشكل كبير باتجاه نظرة أكثر توازناً مع الطبيعة البشرية والتطور بشكل عام. ولهذا التطور أهمية كبيرة ولكن ما يزال على العلم أن يشق طريقه نحو نظرة عالمية أشمل.

هناك سبب آخر لكوننا غير واعين بالأمثلة التي يقدمها اللاعنف، أو لظننا أن اللاعنف غير فعّال أو ينتهي نهاية مخيبة للأمال كما حدث في مصر وسورية. وهذا السبب يعود إلى فشل الثقافة المعاصرة في إعدادنا جيداً لفهم قوة اللاعنف الإيجابية، اللامادية. في الحقيقة إن كلمة اللاعنف جزء من المشكلة. فكلمة اللاعنف تفترض أن الحقيقي، الحالة الافتراضية، هو العنف، وأنّ اللاعنف هو غيابه. هذا يشبه تماماً اعتقاد الكثيرين أنّ السلام هو غياب الحرب. وهم بذلك يقبلون الحقائق وظاهرياً يقيدون خيارتنا.

إن كنا غير واعين باللاعنف سنميل إلى الاعتقاد أنّ ردة فعلنا الوحيدة على هجوم ما ستكون الاستسلام أو رد الهجوم - الحرب أو الهرب. من وجهة نظر اللاعنف هذا لا يعد خياراً حقاً. ففي كلا الطريقتين سنسمح بأن يُستخدم العنف ضدنا (أو ضد آخرين) أو نتصرف بطريقة تزيد فيها منه. لذلك خيارنا الحقيقي ليس بين هذين الطريقتين بل يأتي من رفض كلا الخيارين. عندها سنرغب بأن نواجه

العنف بالبديل الذي دعاه أندرو يانغ Andrew Young وعبر عنه وكأنه يقتبس مقولة دينية قديمة: "المخرج من اللاتريق" (4).

يقدم لنا اللاعنف طريقاً طبيعياً ثالثاً وصالحاً للخروج من معضلة الحرب أو الهرب. تُظهر لنا كشوفات النسبية والواقع الكمومي في القرن العشرين أنّ الأشياء ليست منفصلة كما تبدو. وبالتوازي يوجد في الوقت الراهن أدلة كافية على أنّ التعاطف والتعاون قوى مهيمنة في التطور وأنّ الكائنات البشرية والرئيسيات الأخرى مُجهزة "بعصبونات انعكاسية" mirror neurons تمكنا من مشاركة الآخرين ما يحسون به، وكأنها مرآيا عصبية صغيرة، وأنّ التضحية بالذات يمكن أن تعود بفوائد كثيرة على الجهاز العصبي. لذلك اللاعنف أداة فعّالة في تحقيق التغيير الاجتماعي (5).

ومن الطبيعي على كل حال ألا ننكر بأنّ التعاطف والاهتمام بسلامة غريمٍ لنا لا تأتي بسهولة بل قد تكون صراعاً حقيقياً ولكن من المُشجع تذكر أن هذا الصراع بالتحديد هو أساس قوة اللاعنف. وكما يقول كينغ: غالباً ما يُعطي مصطلح "المقاومة السلبية" انطباعاً خاطئاً بأنّه أسلوب "عدم القيام بشيء" حيث يقبل المقاوم الشرّ بهدوء وسلبية. ولكن هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. فالمقاوم اللاعنفي يبقى سلبياً لمدة معينة بمعنى أنّه لا يلجأ إلى العنف الجسدي في

تعامله مع الخصم. ويبقى عقله وعواطفه في حالة نشطة، ويحاول بشكل دائم اقناع هذا الخصم أنه على خطأ (6).

إن الغضب من الظلم والخوف من الأذى ردود فعل إنسانية طبيعية. وليس القصد أن نملك "الحق" right بالخوف أو الغضب بل في كيفية تمكنا من تغيير الوضع بشكل أكثر فاعلية. وكباحث بارز في اللاعنف يشير جين شارب Gene Sharp إلى أن أول أمر يجب على الناس المضطهدين القيام به هو التغلب على الخوف الشديد الذي يكبحهم (7). في تشيلي على سبيل المثال كانت الطرق الدستورية كافية لإسقاط أوغستو بينوشيه عام 1989 ووضع حد لكابوس الحكم العسكري ولكن توجب على الناس في البداية التغلب على خوفهم وهذا ما أعطاهم القوة الإبداعية للعمل على تحقيق هذا.

لا شك أنه يتوجب علينا خوض هذا الصراع الشخصي مع مشاعرنا "الطبيعية" مراراً وتكراراً ولكن في النهاية سيصبح الأمر عادة. وعندما يخرج خوفنا أو غضبنا بشكل طاقة إبداعية سنمتلك قوة اللاعنف الإبداعية، ومن الناحية العاطفية لن نهرب من خوف ولن نهاجم عن غضب، ولن نبحت عن "ريح" ولن نخاف من الخسارة. وسيصبح هدفنا إن كان متاحاً أن نكبر حتى لو كان بالتوازي مع خصومنا.

استخدامات اللاعنف

جميعنا استخدم طاقة اللاعنف مرات لا تحصى وفي مواقف عديدة أيضاً دون التفكير بتسميتها كذلك. نلاحظ أنفسنا عندما نكون على وشك توجيه نقد قاسٍ لأحد ما أننا نفكر: "حسناً أعتقد أنني قمت بذلك أيضاً في بعض الأحيان". ونقول شيئاً لطيفاً بدلاً من النقد. ونكتم غيظنا عندما يأخذ من يقف أمامنا في الدور الكثير من الوقت. ولتوضيح الأمر بمزيد من الأمثلة عمد أحد أصدقائي إلى مصافحة سارق سيارات معروف وسأله إن كان يحتاج بعض المال ثم تركه يتابع طريقه.

يعمل اللاعنف كطاقة أساسية وبشكل هادئ طوال الوقت كالجاذبية. وننحى لاستخدام مصطلح اللاعنف فقط عندما ينفجر صراعٌ من نوع ما، خاصة بين شعب ما وحكومته. ولكن اللاعنف يعمل بشكل غير ملحوظ في العديد من الجوانب الأخرى ويمكن استخدامه في أي موقف بدءاً من القرارات الوطنية وحتى العلاقات الشخصية. بالتالي، ورغم تركيزي في الأمثلة التي أوردتها على الناس ممن يجدون أنفسهم في حركة ثورية، يمكننا جميعاً أن نستفيد من فهم آليات هذه القوة. وباستطاعة من يواجه شكلاً أو عدة أشكال من العنف في عالمنا (سواء كان قوة بحتة أو حالة لامتساواة موجودة في منظومة ما) ويشعر بأنه مدفوع إلى حماية كرامته البشرية في مواجهة ذلك

العنف الاستفادة من اتخاذ موقف لاعنفي من كل الأشياء الحيّة. وآمل أن يساعد هذا الكتاب، بالتعاون مع وسائل مختلفة مذكورة في آخر الكتاب، الناشطين في فهم المبادئ الأساسية الراعية لآليات العمل اللاعنفي، ولكن مع قليل من التخيل يمكن للمرء أن يستخدم هذه المبادئ في حياته اليومية ويمكن أن تصبح أسلوباً في الحياة.

يحتاج تحقيق هذا الانعطاف نحو اللاعنف أولاً إلى تكبير الصورة الحالية عن ذاتنا كأفراد مستقلين وماديين وتنافسيين. تخيلوا أننا نسعى لتأسيس الطريق الثالث في مجال العلاقات الدولية لمواجهة الأحداث المؤسفة، كما يحدث في رواندا وسوريا على سبيل المثال، فعندما يعتقد المجتمع الدولي أن الخيارات الوحيدة هي قذف أحدهم بالقنابل (الحرب) أو عدم القيام بشيء (الهرب) لن تظهر مجموعة كاملة من الخيارات المختلفة إلا عندما يفهم موظفون حكوميون متتورون أن المعنى الحقيقي للاعنف هو القانون الدولي والمكاتب والدبلوماسية الجيدة ولجان المصالحة وما إلى هناك. ويمكن للعاملين في المجال المدني أو غير الحكومي القيام بما هو أكثر مثل القيام بتدخلات لاعنفية حيادية، وحالياً قد بدأوا بإدراك هذا. ليس هناك طريقة سريعة وسهلة لنصبح لاعنفيين، فالأمر يستدعي جهوداً مستمرة وهو تحدٍ طويل. وتعلم كل شيء عنه مفيد جداً ولكن هذه البداية فقط فالتعلم مع الممارسة أمر أكثر فاعلية.

لحسن الحظ يقود اللاعنف إلى طرق عديدة تخلق تغييرات إيجابية طويلة الأمد ودائمة. وستساعدنا هذه التغييرات في إعادة بناء المؤسسات الاجتماعية على أسس أكثر إنسانية واستدامة. لا تحتاج كل هذه المناهج إلى أن نكون في موقع المواجهة كما سنرى. ويمكن لكل واحد منا مهما كان موقفه في الحياة أو علاقته بالنشاط أن يقوم بهذه "التجربة العظيمة مع الحقيقة" وأن يعيد صياغة ما تكلم عنه غاندي، وذلك وفق قدراتنا والمواقف التي نواجهها.

ولأنّ مبدأ أو طاقة اللاعنف قابل للتطبيق بطرق عدة ومن قبل ممارسين مختلفين وفي مواقف مختلفة سأركز هنا على المبدأ أو الطاقة بحد ذاتها دون محاولة الاسهاب في التوضيح حول كيفية تحقيق التطبيق الأمثل. إن وجود بنية تحتية صالحة وقليل من المخيلة يُمكن من تبني هذا المبدأ في أي موقف، وعندما نفهم المبادئ الأساسية سنخرج بأفضل تطبيقاتنا (8).

الساتياغراها: مصطلح جديد لمبدأ أبدي

قد تمنحنا قراءة "التاريخ" الانطباع بأنّ الحياة عبارة عن سلسلة لا تنتهي من المنافسات والصراعات والحروب. ولكن بالعودة إلى العام 1909 أشار غاندي إلى أن التاريخ الذي نختبره "سجل لكل إعاقة لأي عمل ينتج عن قوة الحب أو الروح.. القوة الروحية ولأنها طبيعية لا

تذكر في التاريخ" (9). لاحظوا هنا أن غاندي لا يستخدم كلمة "اللاعنف" (كترجمة للكلمة الهندية ahimsa) التي لم تكن متداولة بعد. ورفض غاندي أيضاً استخدام مصطلح "المقاومة السلبية" المُضلل. في تلك الفترة كان عليه أن يأتي بمصطلح آخر وهو مصطلح الساتياغراها الذي يعني حرفياً "التمسك بالحقيقة" - ويستخدم مصطلح الساتياغراها للإشارة إلى اللاعنف بشكل عام كما في الاقتباس الأخير ولكن في أحيانٍ أخرى يشير إلى اللاعنف على أنه نضال فعّال ومقاوم.

من خلال صوغ مصطلح الساتياغراها من الكلمة السنسكريتية (sat) التي تعني "الحقيقة" أو "الواقع" و"الصالح" أيضاً أوضح غاندي أنه يرى اللاعنف واقعاً إيجابياً والعنف ظل أو غياب لهذا الواقع. وهكذا لا بد أن ينتشر اللاعنف على المدى البعيد: "يقوم العالم على حجر أساس "الساتيا" أو الحقيقة. تعني أساتيا "Asatya" الباطل وهي تعني أيضاً "العدم" بينما "ساتيا" أو "سات" تعني "الموجود". وإن كان الباطل عدماً فإن انتصاره غير وارد، بينما الحقيقة التي تعني "الموجود" وهي لذلك لا يمكن أن تُهزم" (10). هذه هي عقيدة الساتياغراها بكل إيجاز.

رغم أن الساتياغراها تعني حرفياً "التمسك بالحقيقة" لكنها تُترجم عادةً وبشكل غير مناسب إلى "قوة الروح". جميعنا نملك تلك القوة في داخلنا وعندما تتوفر الظروف الملائمة سنخرج بنتائج مذهلة. وهذا يتضح بشكل جيد فيما يدعى بالحركة اللاعنفية وذلك عندما يواجه

طرفٌ بكل "القوة العظيمة" للاعنف طرفاً آخرًا يتمسك بشدة بالاعنف إذ سيكون النجاح حليف الطرف اللاعنفى دوماً. وقد يكون أحياناً نجاحاً واضحاً وفورياً أو يتحقق في المستقبل.

على سبيل المثال في عام 1963 في برمنغهام، ألباما وجد متظاهرون سود أنفسهم وقد ألهمتهم النية "بالفوز بحريتنا وفي طريقنا لتحقيق هذا سنحرر أخوتنا البيض" كما جاء في كلمات أحد قادتهم، في مواجهة غير متوقعة مع خط من رجال الشرطة والإطفاء مع كلاب وأحصنة. ركع المتظاهرون ليصلوا، وبعد برهة أصبحوا "منتشين روحياً" كما روى ديفيد ديلنجر (David Dellinger) ثم نهضوا وكأنّ أحدهم قد أعطاهم إشارة ومشوا بخطى وثيدة نحو رجال الشرطة والإطفاء. وعندما أصبحوا على مرمى سمعهم قال بعضهم: "لن نعود فنحن لم نقم بأي شيء خاطئ. فكل ما نريده هو حريتنا. كيف تشعرين وأنتم تقومون بهذه الأمور؟" (11). ورغم الصراخ المستمر لمفوض الشرطة المشهور بعنصريته: "افتحوا الخراطيم!" تجمدت أيدي رجال الإطفاء وتابع المتظاهرون السير على نفس الوتيرة وقد تجاوزوا خطوط رجال الشرطة والإطفاء. وتمت رؤية بعض رجال الشرطة والإطفاء يبيكون.

ويعطي غاندي الذي شهد فاعلية هذا كثيراً شرحاً جميلاً للكيفية التي يتم فيها التحول: "والذي تفعله الساتياغراها في هذه الحالات ليس قمع السبب بل تحريره من القصور الذاتي وتأكيد تفوقها على الأحكام

المسبقة والحدق وعواطف أخرى أكثر انحطاطاً. إن أراد المرء أن يعبر عن الأمر بطريقة مختلفة فالساتياغراها لا تستعبد بل تمنح سبباً للتححرر". ومن الأفضل توصيف هذا "السبب" كما يدعو هنا بالوعي الفطري بأننا جميعاً مرتبطون ببعضنا وبأنّ اللاعنف "قانون نوعنا". وكما أشرنا فإن هذا الوعي كامن في كل واحد منا، وهو حالة طبيعية مهما حجبها ضباب الكره. مبدئياً يجب أن نكون قادرين على إيقاظ هذا الوعي في كل فرد عندما يتوفر الوقت والطريقة لفعل هذا. فعندما يستيقظ الوعي سيتغلب بشكل اتوماتيكي على "المشاعر الأدنى".

وأن تمتلك الكائنات البشرية القدرة على ألا تكون عنيفة وتستجيب للاعنف عندما يحدث يعني أنها تملك صورة أرقى مما نقدمه عبر وسائل الاعلام وفي ثقافتنا الحالية. ولكن بسبب هذه الثقافة بحد ذاتها لا يمكننا توقع ماهية قدرتنا على اللاعنف على التعبير عن ذاتها. وحتى تثمر هذه القدرة علينا أولاً أن نحاول فهمها بشكل أفضل والاعتیاد على استخدامها بإبداع في علاقاتنا ومؤسساتنا وثقافتنا. لكن حتى نستخدمها في مواقف الصراع الشديد كما في مثال برمنغهام هناك مكونان أساسيان يجب توافرها حتى يبدأ الفعل السحري للاعنف:

1. أن نقارب مواقفنا بنوايا سليمة. فنحن لسنا ولا نحتاج أن نكون

ضد سلامة أي شخص.

2. أن نوظف الأدوات المناسبة. فلا يمكن للأدوات الخاطئة كالعنف أن يحقق النتيجة المرجوة على المدى البعيد.

يكن مصدر تمكنا وقوتنا في الساتياغراها في امتلاكنا لنوايا سليمة واستخدامنا للوسائل المناسبة. لو عملنا بدافع من الغضب أو الحسد أو الجهل حينها لن يهـم أبداً إن كانت قضيتنا محقة ما لم نقاربها بشكل صحيح. فلنلاحظوا أن متظاهري برمنغهام طرحوا السؤال التالي: "ما الذي تشعرون به حيال هذا؟" وهم بمعنى آخر منحوا خصمهم وعياً أخلاقياً وبالتالي ساهموا في إيقاف وعي الخصم من أجل صالحه. وبالمثل فإن استسلمنا للعنف فنحن لا نستخدم الوسائل الملائمة. لذلك دعونا ننظر في كل خط من الخطوط العريضة التالية تباعاً.

الفصل الثاني

النية السليمة: بناء الروح اللاعنفية

تدعم كل التعاليم الدينية العالمية "الوحدة الأساسية للعائلة البشرية على الأرض" - كما جاء في كلمات البرلمان العالمي للأديان (12 - 1993). وليس من المفاجئ أن أشهر قادة اللاعنف من أمثال أنغ سان سو كي Aung San Suu Kyi وعبد الغفار خان Abdul Ghaffar Khan وكينغ وغاندي بالطبع يستقون من أديانهم كمصدر إلهام، وأحياناً يستقون من الممارسات الروحية لهذه الأديان، لامتلاك القوة على الرؤية والعمل اللاعنفي في وجه الأخطار أو الاعتداءات.

سواء كانت لدينا ميولاً دينية أو لم تكن (وهي الحالة السائدة في هذه الأيام) يتطلب التعمق في مصادر اللاعنف معرفةً أننا، وكما جاء في كلمات كينغ عندما كان في سجن برمنغهام، "مرتبطون بمصير واحد." لا بدّ أن هناك شيء من الوحدة حتى مع خصومنا، وبعض الثقة بإمكانية التواصل معهم بغض النظر عن مدى عنف حالتهم العقلية الآنية. علينا أن ندرك بأننا نملك مصادر داخلية تجعل من اعتمادنا على الأسلحة أو الأرقام أو المال غير ضروري، وتقول بوجود معنى للوجود تماماً كما تقول بأن لكل مشكلة حلّه دون التسبب بالأذى لأيّ كان.

الشخص ليس هو المشكلة

وفق النظرة اللاعنفية فإن "الخلاص من حيث لا يوجد أي مخرج" يتطلب التفكير في الخروج عن فهم النزاعات كلعبة الكل مقابل اللاشيء، أي حتى أربح أنا فإن عليك أن تخسر أنت كلياً. أنا لست ضدك وأنت لست ضدي بل نحن كلانا ضد المشكلة. وهناك طريق يمكن لكلينا الاستفادة منه ويمكننا أيضاً تنميته. يمتلك هذا الطريق القدرة على تحويل أي جدل إلى جلسة لحل المشاكل وتحويل الخلاف إلى تجربة. في نهاية الأمر سيفيدنا تحويل الشعور بالعزلة إلى وعي بوحدة كل الأطراف، وعندها سيغدو هذا الشعور عاملاً بحد ذاته، ويوصلنا إلى الحل الخلاق والمناسب للجميع. ولهذا من المهم بالنسبة للعامل في مجال اللاعنف أن يحاول دوماً عدم اضاءة احتمالات المصالحة واحتمالية "تصفية الخصومة وليس الخصم" (13). إياك أن تكون ضد الناس بل كن ضد المشاكل.

ليس من السهل دوماً تنمية هذه النية ولكن هناك طريقة مفيدة بشكل خاص: يجب أن نحاول ألا نهين أو نقبل الإهانة لأن هذا سيؤذي الجميع. من الصعب على أي إنسان أن يعيش مع العار أو المهانة، وعندما يهددنا أحد باستخدام العنف نشعر بشيء من العار لاستخدام هذا المنهج حتى لو كان استخداماً لاواعٍ. ولذلك حين نطرح تغيير أفضية الحديث باتجاه اللاعنف نعطي خصمنا بالتالي طريقاً

للخروج. هذه النية هي الإقرار بأحد أهم مصطلحات اللاعنف وهو "alay dangal" ويعني "منح الكرامة" وقد تم صوغ هذا المصطلح خلال ثورة الشعب الفلبيني من أجل السلطة عام 1986 (Philippines People Power Revolution).

كما أخبر النبي محمد أتباعه في أحد المرات أنّ عليهم مساعدة الجميع بما في ذلك الظالم، وعندما سألوه عن كيفية مساعدة الظالم أجاب: "من خلال رده عن الظلم" (14). وهذا يمنح عقولنا توجهاً مفيداً جداً؛ فكلما ازداد احترامك لإنسانية خصمك كلما زادت فاعلية معارضتك لظلمه.

ولحسن الحظ نحن غير مجبرون في الساتياغراها على الاختيار بين المبدئي والاستراتيجي، فعلى المدى الطويل ستحقق الأدوات المناسبة (اللاعنف على سبيل المثال) النتائج المرجوة (كالعدالة) وهذا سيحقق سمة توعوية بحقيقة اللاعنف. على عكس الحملات العسكرية فإن المصادر الأساسية التي يستقي منها اللاعنف غير محدودة. عندما أمنحك احترامي فأنا لا أتخلى عنه أو أقلل مما لدي منه. بينما العنف يشد انتباهنا نحو الأمور المادية المحدودة وغير الدائمة ويخلق بذلك نوعاً من المنافسة والخوف.

وتعد غايتنا من وراء ابعاد الناس عن المشاكل والحفاظ على كرامة الآخر وكرامتنا أيضاً طريقاً وهدفاً للساتياغراها. وكما قال غاندي:

"اللاتعاون الحقيقي هو اللاتعاون مع الشر وليس مع الأشرار." وقد حافظ على رأيه هذا حتى عندما واجه أصعب اختبار في اللاعنف ألا وهو الدفاع عن بلد يزرع تحت احتلال كبير ويواجه عدواً عنيداً. في عام 1942 عندما كانت الهند تابعة للبريطانيين ومهددة من قبل اليابان أشار غاندي إلى كيفية الدفاع عن البلد:

إن كان بلدنا حراً يمكننا أن نقوم بأمور على نحو لاعنفي لتجنب دخول اليابانيين. ويمكن أن تبدأ المقاومة اللاعنفية في اللحظة التي يأت فيها اليابانيون الأرض. بالتالي سيرفض المقاومون اللاعنفيون تقديم أي مساعدة لهم، سيرفضون حتى تقديم الماء. فمساعدة أي أحد على سرقة بلدهم ليس جزءاً من واجبهم. ولكن في حال أضع أحد الجنود اليابانيين طريقه وكاد يموت من العطش وبيحث عن مساعدة كائن بشري سيقوم المقاوم اللاعنفى والذي لا يعتبر أي أحد عدواً له بإعطاء الماء إلى الياباني العطشان. ولنفرض أن اليابانيون أجبروا المقاومين على إعطاءهم الماء فعلى المقاومين الموت كنوع من المقاومة (15).

أصبحت هذه الرؤية الجريئة حقيقة عندما غزت الجيوش السوفيتية تشكوسلوفاكيا لقمع الإصلاحات عام 1968. ولمعرفتهم بعبثية المقاومة المسلحة لجأ التشيكيون الأذكياء بشجاعة إلى عصيان حظر التجول بكل أنواعه وترتيباته وتآخوا مع الجنود الروس، وحاولوا ألا يضمروا أي

غضب تجاههم كشعب. وكننتيجة لهذا العمل غير المتوقع لم تتمكن ثلاث جيوش من حلف وارسو يصل تعددها إلى نصف مليون من فرض السيطرة على البلد لما يقارب الثماني أشهر. وبالتوازي مع الشجاعة والحس الفكاهي الذي يملكه الشعب التشيكي أعطتهم مهارتهم في حماية الناس من الانخراط في السياسة أو الفصل بين الشر وبين من يقوم به وسيلة للتغلب على الاحتمالات الطاغية. اليوم ندعو هذه الاستراتيجية بالدفاع المدني، التي وبالتزامن مع إرساء السلام المدني غير المسلح، تشكل المعادل اللاعنفي للدفاع العسكري.

وكل عنف يبدأ من فشل أو رفض الاقرار بالآخر ككائن إنساني كامل، لذلك يجب وكلما ازداد العنف أن نوقظ للإنسانية الموجودة في الخصم. حتى من يقوم بالتعذيب، مهما كان صعباً تذكر هذا، هو شخص يعتقد بسبب جهله وانعدام حساسيته أن تعذيب الآخر مقبول. ولكن رغم اعتقاده هذا يبقى في الجوهر شخصاً. بالتالي حتى لو كان أحدهم خالياً تماماً من الإنسانية عند قيامه بهذا الفعل لابد أن يكون لديه رغبة خفية ليكون إنساناً مجدداً. ونحن نخاطب هذه الرغبة عندما نحافظ على "حالة الشخص" (personhood) للآخر، ولهذا لطالما تغلبت المقاومة اللاعنفية حتى على المعارضة المسلحة والعنيفة جداً (16). على الأقل يحمينا اللاعنف من التأثيرات المزعجة لكتم الغضب والتجرد من الإنسانية (dehumanization). دعونا لا ننسى أن حريتنا

الشخصية من الغضب والخوف وإلى ما هنالك تحقق منفعة جيدة، وهذا يتحقق من خلال ممارسة اللاعنف.

هناك عنصر مهم من وراء نيتنا بمعاملة المعتدي ككائن بشري ألا وهو تجنب تصنيفه/ها. فالتصنيف ينزع السمة الشخصية ولهذا يلجأ الجنود غالباً إلى التصنيف لتجاوز حالة القرف الطبيعية التي تنتج عن قتل شخص آخر. والشخص غير العنيف حقاً لن ينزع السمة الشخصية أو يهين أو يجرد الآخر من إنسانيته بالأخص عندما يكون في وضع المقاومة. وهذا يتفق مع ما قاله كينغ عن الظلم وكيف أنّ الظلم في أي مكان تهديد للعدالة في كل مكان، وينطبق أيضاً على كرامتنا؛ فامتهان أحدهم امتهان للجميع. وبشكل أدق يجب علينا العمل جميعاً لتحقيق الصداقة والمصالحة في فهمنا كما جاء في عبارة أبراهام لينكولن: "أفضل الطرق لتدمير عدو هي تحويله إلى صديق."

خمس ممارسات تدريبية أساسية لحياة لاعنفية

إغراء اذلال أحدهم لأن سلوكه سيء يعني محاولة جعله يشعر بالخجل من نفسه بدلاً من جعله يشعر بالخجل مما فعله، وهذا الإغراء قوي جداً. ومنح الكرامة لهؤلاء الأشخاص والإقرار بأنهم يملكون وجهة نظر لا يأتي بشكل طبيعي. ولكن يمكن العمل على تحقيق هذا

الموقف. وما يلي بعض عناصر برنامج التدريب اللاعنفي التي يمكننا من خلالها تمكين أنفسنا كأفراد وتنمية النيّة السليمة (17).

1. تجنب الشبكات والقنوات الإعلامية الكبرى. سواء أدرکنا أو لم ندرك فإن وسائل الإعلام الكبرى مشبعة بالعنف والصور السيئة عن البشرية وهي تولّد الكثير من العنف. أظهرت دراسات كثيرة أن صور العنف تدخل إلى عقولنا حتى لو رفضناها بشكل واعٍ وتجعل المشاهدين أكثر عنفاً وعدوانية. وتتطلب إعادة ضبط وسائل الاعلام حملة كبيرة. لحسن الحظ هناك وسائل إعلام بديلة في الوقت الحالي، ومن خلالها يمكننا الحصول على الأخبار والترفيه (هناك قائمة ببعض هذه الوسائل في نهاية الكتاب). من خلال هذه الوسائل من المستبعد أن يبدو العالم كمكان عنيف وأن نبدو عاجزين عن تغييره. يمكننا بأمان تقليل تعرضنا لوسائل الإعلام التجارية الكبرى التي تخدم الشركات والمصالح السلطوية.

2. تعلّم عن اللاعنف. لملئ الفراغ الذي يتركه تجنّب وسائل الإعلام لا شيء أفضل من فهمٍ ومعرفة عميقة باللاعنف الذي وكما رأينا ليس مجرد تقنية بل رؤية عالمية بحد ذاتها وثقافة كاملة تماماً. ويصبح اكتشاف اللاعنف حولنا مفيداً جداً. والتعلم التقليدي كقراءة كتب مثل هذا الكتاب وكتب أخرى موجودة في قائمة مراجعنا يضيف بعداً

آخرًا. وهناك وسيلة أخيرة مفيدة للحصول على ثقافة اللاعنف ألا وهي التدريب على الاستخدام الذكي للاعنف.

3. اتباع تدريب روحي في حال لم تكن تتلقى أي تدريب. فالتأمل الذي لا يرتبط بالضرورة مع دين معين مفيد جداً للشخص اللاعنفى ولأي شخص (18). التأمل وسيلة ضبط إنسانية عظيمة لأنها تربطنا بمجالات أعمق لإنسانيتنا وللآخرين مثلها على حد سواء. نحتاج جميعنا إلى شكل من التأديب الذاتي سواء أكان دينياً أو لم يكن. فقد وصل العديد من الأشخاص اللاعنفيين في وقتنا الحالي إلى المصادر والرؤية الداخلية من خلال التأمل والصلاة أو ممارسات روحية أخرى.

4. فلنكن أكثر شخصانية مع الآخرين. من خلال تواصلنا اليومي نمنح الناس انتباهنا الكامل. أن تبذل جهدك في الحديث مع جابي التعريفات (إن لم يكن هناك خطأ طويلاً من السيارات وراءك)، أن تتصل بأحد بدلاً من ارسال رسالة له أو أن تتناول الطعام معه. هذه العادات الصغيرة كما تبدو يمكنها أن تغير تركيبة حياتنا وتساعدنا على تنمية الرأفة ورؤية الإنسانية في الآخرين بينما نساعدهم في الوقت عينه.

5. البحث عن مشروع والانخراط في العمل. ماهي مساهمتك المميزة في الحياة؟ أين يحتاجك العالم؟ ماهي المشاريع الممكنة والمُلحة لتحقيق تغيير أساسي في نظامنا الحالي؟ أظهرت بعض الدراسات أن

النشيطين أكثر تفاؤلاً والعكس صحيح. نحن نؤثر على أنفسنا كثيراً من خلال ما نفعله وربما بالقدر نفسه أو أكثر مما نؤثر على أنفسنا من خلال الطريقة التي نتكلم فيها عن أفعالنا. تساعدنا هذه الخطوات على تجهيز أنفسنا لنعيش حياةً لاعنفية. وحتى بدون الخطوة الخامسة ستحقق الخطوات السابقة تغييراً في العالم لأنّ الطريقة التي نعيش فيها تؤثر على العالم حولنا حتى لو لم نقوم بشيء آخر ولكننا سنقوم بشيء آخر.

الفصل الثالث

الوسائل المناسبة: ادراك موقعنا

عندما سُئل المعلم البوذي الفيتنامي الشهير (Thich Nhat Hanh) أن يشرح مفهومه عن "البوذية المنخرطة" (Engaged Buddhism) أجاب: "البوذية المنخرطة هي بوذية عادلة" (19). لا يمكنك أن تكون منسجماً مع القيم الأخلاقية في وقتنا الحالي دون العمل حقاً على التعبير عن هذه القيم في عالمنا المضطرب. على أية حال ورغم أنه من الجيد أن نتذكر أن القيم بحد ذاتها خطوة جيدة في الاتجاه الصحيح لكن علينا أن نوجه أفعالنا اللاحقة كقياديين ماهرين يعرفون أخطار ساحة النضال وكيفية تعبئة قوى اللاعنف لمواجهة هذه الأخطار. عندما نستخدم اللاعنف فبأي شكل سيكون؟ هذا هو السؤال التي سنأخذه بعين الاعتبار تالياً.

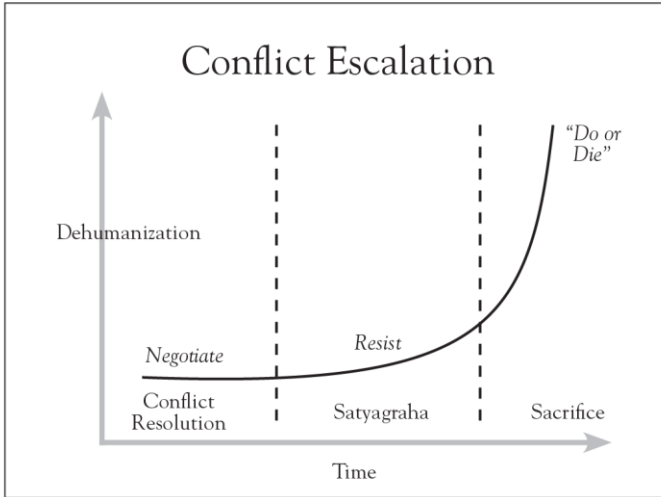
كم يلزم من اللاعنف؟

تتفاقم الصراعات عندما لا تُحل وإن لم تصبح موضع اهتمام سرعان ما ستخرج عن زمام السيطرة. ومن وجهة نظر لاعنفية فإن حدة الصراع ليس بالضرورة مسألة أعداد الأسلحة والناس المتورطة في هذا الصراع (فالشجار بين حبيبين يشبه الصراع بين الأمم) ويعتمد بشكل أساسي على المدى الذي وصل إليه التجرد من الإنسانية. إن توقف

أحدهم عن الإصغاء إليك وأخذ يطلق عليك ألقاباً أو يقوم بتصنيفك فعلى الأغلب لن تعود العرائض بأية فائدة.

ومن منطلق فهم كيفية الاستجابة يمكننا بكل سهولة اعتبار أنّ هذا التصعيد مؤلف من ثلاث مراحل تستدعي مجموعة خاصة من الاستجابات. دعونا نطلق على هذه المراحل الثلاث: حل الصراع، ساتياغراها (المقاومة اللاعنفية الفاعلة)، والتضحية المطلقة (انظر الى الصورة)، لكن لحسن الحظ فإن هذا نادر ولكن من المفيد المعرفة بوجودها.

The Three Stages of Conflict Escalation



المرحلة الأولى: حل الصراع

من المهم الاستجابة إلى كل صراع بشكل مبكر قبل أن تفاقم حالة خطيرة من التجرد من الإنسانية في الأجواء. يمكن حل الخلافات في هذه الحالة بواسطة الأدوات المعروفة في حل النزاعات أو في التواصل اللاعنفي. إن قدمت شكوى فإن الطرف الآخر سيصغي إليك على أقل تقدير وقد لا يستلطفونك ولكن سيدركون أنك واحد من الناس. والأدوات التي تُستخدم في المرحلة الأولى كالتفاوض والتأمل والتحكيم وأحياناً بوجود مكاتب طرف ثالث جيدة ومعروفة تماماً ولا تتطلب الكثير من التوضيح هنا.

المرحلة الثانية: الساتياغراها

على أي حال نعلم أنّ التعامل مع النزاعات ليس أمراً سهلاً على الدوام. في أغلب الأحيان لا يمكننا الوصول إلى من نريد اقناعهم بالمنطق وهنا تغدو الساتياغراها فعّالة. وهي غالباً تعني الاستعداد لتحمل بعض المعاناة بدلاً من القاءها على الآخرين من أجل تحقيق صحتهم. وكما يقول غاندي: "الأشياء ذات الأهمية الأساسية للناس لا تتحقق بالمنطق فقط بل عليها أن تخاطب معاناتهم... إن أردت يتحقق أمرٌ مهمٌ حقاً ليس عليك إرضاء المنطق فقط بل عليك أن تحرك القلب أيضاً" (20).

يشير غاندي حقاً إلى هذا الأمر باسم "قانون المعاناة". تعد المعاناة سواء كانت بسبب إساءة جسدية أو رفض للمساعدة أو أيّاً يكن جزء حيوي في الاقتناع اللاعنفي خلال النزاعات اللاعنفية الأخطر.

المرحلة الثالثة: التضحية المطلقة

المرحلة الثالثة هي حقاً امتداد للمرحلة الثانية ولكن الأمور هنا أصبحت قضية حياة أو موت. وقد جربنا الأساليب المعتادة للساتياغراها (الاضرابات وتحدي الأوامر والعصيان المدني وما إلى هناك) ولكن "شريكنا في الحوار" أي خصمنا لا يستجيب (على الأقل ظاهرياً)، على أي حال ما يزال سبيل اللاعنف متاحاً. إن لم نستطع العيش مع أي ظلم فبإمكاننا المخاطرة بحياتنا لتصحيحه. لقد اخترت هذه الكلمات بعناية. ليس الموت ما يوقظ الخصم العنيد بل الاستعداد للمخاطرة بالموت. هذا ما حدث في اللحظة الحاسمة خلال المرحلة الأخيرة من صراع الحرية الهندي على سبيل المثال وقد نجح.

هناك أمران يجب علينا ألا ننساها هنا: أولاً اللاعنف بالمجمل أكثر أماناً من العنف، على سبيل المثال لم يمت أحد تقريباً في أي عمل من أعمال حفظ السلام المدني وغير المسلح بينما مات الملايين مستخدمين الطرائق "العادية" للصراع المسلح أو الحرب؛ ثانياً إن اتخذنا طريق اللاعنف لأنه أكثر أماناً سيبدو الأمر وكأننا نسرق بعضاً من

قواه. فالقوة الكاملة للاعنف تأتي عندما نقوم به لأننا مؤمنين بأنه العمل الصائب ولا نعبأ بالتكلفة.

تماماً وكما يُظهر المنحى التصاعدي في الشكل فكلما أسرعنا في التعامل مع الصراع كلما ازدادت الخيارات لدينا وكلما كان الألم أقل أثناء حلّ هذا الصراع. ولكن لا نملك هذا الخيار دوماً. هناك الكثير من العنف في وسائل الإعلام (على الأقل في العالم الصناعي) وفكرتنا عن الإمكانية البشرية سيئة جداً لدرجة أن الصراعات قد تخرج عن إطار السيطرة بسرعة. لا يمكننا تحمل تكلفة تجاهل الحالات التي تتطلب الاستجابة الأكثر جرأة.

عندما لا ينفع أي شيء آخر

عندما يصبح خصم ما بعيداً جداً لدرجة أن ساتياغراها متقنة تعجز عن ايقاظ ضميره (ظاهرياً على الأقل) ومع ذلك لا يمكن احتمال الشر الذي يقوم به، غالباً ما يقرر الساتياغريين (satyagrahis) - أي اللاعبون اللاعنفيون - المخاطرة من خلال القيام بالتضحية المطلقة. ومن خلال القيام بهذا يجدون أنفسهم يستخدمون بكل براعة الطاقة المطلقة للقوة الروحية وفي أغلب الأوقات، ليس دائماً، عاشوا ليخبروا قصتهم.

انظروا على سبيل المثال إلى صديقي ديفيد هيرتسو David Hartsough الناشط المشهور في مجال السلام، الذي كان صبياً أبيضاً في الخامسة عشر عندما جلس على منضدة الطعام في فرجينيا لكسر التمييز العنصري. بعد يوم ونصف بدون طعام تعرض للسحب والتهديد من قبل رجل أبيض غاضب حمل سكيناً كبيراً ووجهها إلى صدر ديفيد ثم زمجر قائلاً: "حسناً يا مُحب الزنوج لديك دقيقة واحدة حتى تخرج قبل أن أضع هذه السكين في قلبك." بقي ديفيد هادئاً (كان يتلو صلاة المسيح بينه وبين نفسه لساعات بلا انقطاع). حاول أن ينظر في عيني الرجل رغم الكره الواضح فيهما، وسمع نفسه يقول: "يا أخي أنت تقوم بما تشعر بأنه يتوجب عليك القيام به ولكن سأحاول أن أحبك بغض النظر عن أي شيء." بعد لحظة مرت طويلاً بدأت تهتز السكين، ثم أنزل الرجل يده ببطء وخرج من غرفة الطعام. لاحظ بعض الحاضرين أنه خرج باكياً.

لا تتسوا ملايين الجنود ممن يذهبون إلى المعارك والمستعدين للمخاطرة بحياتهم وغالباً من أجل قضايا مريبة، أليس علينا إذاً أن نكون جاهزين بالقدر نفسه؟ سيكون لشجاعتنا قوة على تحقيق تغيير أكبر من تلك التي تملكها القوة المسلحة وستأتي من شخص مستعد لتلقي للأذى ولكن دون أن يكون من يسببه. يدعى هذا أحياناً "قوة الحساسية" (power of vulnerability). كما ذكرنا فقد قتل عدد أقل

بكثير خلال العمل اللاعنفي الحقيقي مما قتل خلال النزاعات المسلحة، وهذا ما لا يمكننا تجنبه في الصراعات الحقيقية، وهو سبب جيد للبدء بالعمل في المراحل الأولى لأي صراع إن كان هذا ممكناً تماماً!

الفصل الرابع استخدام القوة اللاعنفية

هناك طرق خلاقية لانتهائية لتوظيف طاقة اللاعنف، ورغم أنها كلها تنمو في المبدأ القائل بأننا لا نحتاج إلى أن نكون ضد صالح أي أحد - حاجتنا الحقيقية ليست متعارضة أبداً - إلا أن بعضاً من أفضل الوسائل توظيفاً قد لا تكون واضحة. فقد رأينا، على سبيل المثال، أن الوسائل المناسبة يجب أن تكون متناسبة دوماً، وهذا يعني أن علينا تحقيق تناسب بين العنف وبقوة اللاعنف وفقاً للحالة. الوسائل المناسبة تتضمن أيضاً فن المساومة (Art of Compromise) الذي يتطلب فهماً للمبادئ القابلة للتفاوض وتلك غير القابلة له. أخيراً يجب ألا ننسى وجود أهداف محددة وأنه علينا فهم كيفية تحقيق هذه الأهداف. في النهاية سيساعدنا تذكر هذه المبادئ على ضمان بناء قاعدة سليمة لحركتنا اللاعنفية.

التناسبية (Proportionality)

يجب تطبيق القوة الاجتماعية للاعنف بما يتناسب مع درجة العداء التي تواجهها. وللاستفادة الكاملة من قوة الوسائل المناسبة نحتاج إلى معرفة إلى أية مرحلة من المراحل الثلاث وصل صراعٌ ما. والمبالغة بردة الفعل في صراع ما - على سبيل المثال، البدء بصيام،

وهو من أكثر وسائل الساتياغراها جذريةً، قبل اعطاء الخصم فرصة ليقنع - قد يكون غير فعالاً، تماماً كمتابعة الاحتجاج بينما الأمور تجاوزت المرحلة التي قد يكون فيها للاحتجاج التأثير المرجو.

إمكانية تصاعد النزاعات هي مسألة تجربة عامة جداً، أمّا الجزء الذي نفشل في إدراكه هو إمكانية تصاعد اللاعنّف. وكما قال كينغ خلال عِظة عن السلام في عيد الميلاد 1967: "علينا أن نجاري قدرتكم على التسبب بالمعاناة بقدرتنا على تحمل هذه المعاناة". يجب أن تماثل درجة القوة الروحية درجة قوة التهديد أو التجرد من الإنسانية. على سبيل المثال حشدت التحضيرات للحرب على العراق في 2003 الملايين حول العالم ممن نزلوا إلى الشوارع للاحتجاج بشدة. وتجاوز الرئيس جورج دبليو بوش المحتجين "كمجموعة مهمة" (focus group) أطلق في الحقيقة إشارةً إلى أنّ رفض الحرب قد وصل إلى المرحلة الثانية أي مرحلة البدء بالساتياغراها.

والأمر ليس أنّ الاحتجاج والعرائض كانت خطأ، لكن علينا أن نقوم بمفاوضات طيبة النية حتى لو كنا نملك شكوكاً باستجابة خصمنا. هذا سيزيد من شرعية حملتنا ويضعنا في موقع مقاومة قوي متى أردنا واحتجنا، ويشجع أيضاً في الوقت نفسه على إعادة السمة الإنسانية (rehumanization) من جديد. وهذا سيأتي بثماره على المدى البعيد.

ولكن أيضًا علينا أن نكون مستعدين للقيام بخطوات ملموسة عندما يتضح لنا أنَّ الخصم لا يصغي.

فن المساومة (او التسوية)

في أي شيء نقوم به سواء كان البدء بعمل أو التخطيط لاقتصاد من المهم بمكان أن نميز بين الأهداف والاستراتيجيات. وهذا أمرٌ مصيري بشكل خاص في الساتياغراها لأننا نريد استعادة القدرة على التنازل بالقدر الممكن. بالتالي علينا أن نحدد المبادئ الأساسية التي لا يمكننا التضحية بها لأي سبب من الأسباب - كالحقيقة والكرامة البشرية والحرية - وتمييزها عن الأمور القابلة للتفاوض عليها مثل المتعلقة بأصحاب الفضل في القيام بهذه الأمور. غالبًا ما نجد أنفسنا غير قادرين على التنازل وذلك لأننا محكومون بالرموز - كالمسيرات التي تتطلق من مكان اعتباطي إلى آخر والشرائط وألوان معينة - التي قد تحول أي موقف لا يحوي تحديات إلى صراع على السلطة سواء مع الخصم أو بين صفوفنا.

خلال إحدى مظاهرات حركة احتلوا في فيلادلفيا عام 2011 على سبيل المثال تقدم ممثلون عن الكنائس السوداء الاعتبارية في المدينة من المحتجين، وقد أرادوا الانضمام إلى الحركة، وطلبوا منهم أمرًا واحدًا وهو الكف عن استخدام ألفاظ بذيئة معينة في العلن. لسوء الحظ رفض

المحتجون القيام بهذا التنازل، وهم بذلك قد خلطوا بين التكتيك - أو الرغبة الشخصية البحتة في السباب علناً - وبين هدفهم الأكبر في تحقيق العدالة الاقتصادية، وتشبثوا بما هو قابل للتفاوض وبالتالي فشلوا في كسب حلفاء أقوياء لصالح حركتهم.

علينا دومًا أن نذكر أنفسنا أننا لسنا في صراع على السلطة مهما كان تفكير الطرف الآخر، بل نحن في خضم سيرورة تعلم تحمل معها إمكانية تحقيق الفائدة للجميع. وهدفنا المطلق، إن كان هذا الهدف ممكن التحقق، هو بناء العلاقات. والأهم أن تذكر أن الصراعات غير موجودة، بل هناك حاجات مشتركة، سيساعدنا على التركيز على الجائزة الأهم لكل الأطراف. على سبيل المثال كان المشروع الأول للناشط الإيطالي دانيالو دولتشي (Danilo Dolci)، الذي تخلى عن مهنته المربحة كمهندس معماري في ميلان ليعمل مع الفقراء في صقلية، بناء سدّ قرب بلدة جيتو (Jatto) متحديًا بذلك إرادة المافيا الصقلية. ورغم المعارضة فقد نجح دولتشي في القيام بمشروعه. عندما أتى أفراد المافيا إلى دانيالو وأعلنوا على مضمض: "حسنًا دانيالو لقد ربحت وقد حصلت الآن على كل الماء." أجاب دولتشي: "لا لقد ربحتنا جميعنا. سيكون الماء لكم ولعائلاتكم أيضًا."

وبما يشبه هذا الموقف حاول غاندي أن يراقب ما دعاه مبدأ "عدم الاحراج" (non-embarrassment). عندما يكون خصمك مشغولًا بأمير

ما، كما كانت حكومة جنوب افريقيا مشغولة بإضرابات السكك الحديدية عام 1913، تتراجع حينها. كان لمقدمة غاندي المفاجئة حول اللياقة العامة تأثيرًا قويًا على علاقته بالحكومة، ولعب استعداده للتنازل وفق هذه الطريقة دورًا مساعدًا في نجاحه على مدى ثمانية سنوات من الساتياغراها التي أطلقها لصالح حقوق المجتمع الهندي في تلك المنطقة. ولأنه يتعلم دومًا من تجاربه الشخصية قام بالأمر عينه بعد ثلاثين عام تقريبًا عندما انخرط البريطانيون في الحرب العالمية الثانية وحقق هذا تأثيرًا جيدًا أيضًا.

مالذي نريده حقًا؟

أجاد غاندي فن المساومة إلى درجة أن المحيطين حوله خافوا من أنه كان يستسلم ويُسلم. لم يفهموا أنّ استعداده للتنازل عن كل شيء كان أصلًا لتحقيق الوصول إلى الهدف الأساسي وهو حرية الهند، وكان يميز بين الأهداف الكبرى والاستراتيجيات المباشرة. في عام 1925 على سبيل المثال، وبعد إطلاق سراحه من فترة سجنٍ طويلة، اكتشف أنّ حزبه عانى من انقسام خطير خلال غيابه وسيطرت وقتها المجموعة المعادية له في قضية مهمة على القضية. وبما أنهم ربحوا القضية بطرق عادلة لم يحاول غاندي صدهم، وبدلًا من ذلك تخلى

عن موقف ثلو الآخر وأبقى عينيه على هدف واحد يشترك به الجميع وهو العمل الجماعي لتحقيق الاستقلال.

ولأن الكثيرين لم يفهموا منطقته أطلقوا على حركته "التنازل عن باتنا" (عاصمة ولاية بيهار في شمال الهند). ولكن كان لهذه "المساومة" تأثيرًا غريبًا لم يغفل عنه سكرتيهه بيارلال (Pyarelal): "كلما محى نفسه احتاجوه أكثر وزاد تأثيره على مداولاتهم. ونكرانه الكامل لذاته أعطاه قوة لن يستطيع أي منصب رسمي في مجلس الشيوخ أو في الخارج إعطاءها له" (21).

يمكننا أن نجري مقارنة هنا مع الأحداث التي جرت في بولندا في ثمانينات القرن الماضي عندما أحرز صراع "التضامن" (Solidarity) تقدمًا. كان قائد الحراك، ليتش ويلسا (Lech Walesa)، على وشك التوقيع على اتفاق مهم مع الحكومة عندما طلب عامل مساعد إضافة نقطة جديدة إلى الاتفاق ألا وهي الحصانة لكل المشاركين في الاضرابات ممن اعتقلوا في احتجاجات سابقة. وافق ويلسا على إضافة هذا البند إلى الاتفاق وسرعان ما سحبت الحكومة الاتفاق وهذا بدوره ساهم في إطالة صراع الشعب البولندي لسنوات قاسية عديدة.

كما يتضح فإن قدرتنا على التنازل تعتمد على الصياغة والالتزام بأهداف محددة. ويجب أن نتذكر دومًا النقاط الأساسية التالية عند اختيار هذه الأهداف المحددة:

1. يجب أن يساهم الهدف في إفادة كل الأطراف، ويمكن تحديد نتائج ملموسة. تذكر دائماً أن ثني ظالم عن ظلمه هي لصالحه كما هي لصالحنا ايضاً.
2. لا يجب أن يكون الهدف سخيلاً أو لغاية تحقيق منفعة شخصية.
3. يجب أن تكون المطالب ملموسة وممكنة وواقعية، و فقط بشكل نادر يمكن أن تكون رمزية.
4. إضافة مطالب جديدة إلى قائمة أهدافنا عندما تكتسب حملتنا قوة، مهما كان الأمر مغرياً، سيغير من طريقة تفاعلنا مع الخصم سواء في الحديث أو في لعبة القوة. وأحياناً يدعى هذا المبدأ بمبدأ "لا بنود جديدة".

البناء الصحيح: سر البرنامج البناء

لا تهدف الساتياغراها إلى مجرد الإطاحة بالأنظمة القمعية بل إلى استبدالها بأنظمة أخرى أكثر إيجابية. مجدداً هذه استراتيجية تماماً كما هي مسألة مبدأ، فلا شيء يقوض نظاماً غير مرغوب كبناء نظام مرغوب به. وما من شيء أكثر فعالية من مجتمع ينهض بنفسه ويتغلب على التبعية والقمع.

يُدعى عادة هذا الجانب بالبرنامج البناء. على المدى الطويل يُقدم البرنامج البناء العروة التي ستشد كل الحركات إلى بعضها البعض وتبني الطاقة العفوية التي ستفجر في وجه أي ظلم شديد، وتمنع تلك الطاقة من التلاشي عند مواجهة الظلم أو عندما تواجه الحركة مقاومة غير متوقعة. هذه مزايا استراتيجية قائمة على حقيقة أن اللاعنف، كقوة إيجابية، وكما يوضح كينغ، تلائم حالة "التعاون مع الخير" أكثر من حالة "اللاتعاون مع الشر" رغم أنّ الحالة الأخيرة لها موقعها أيضاً. هناك مزايا استراتيجية أخرى تتبع من هذا المبدأ. على سبيل المثال هناك العمل المشترك من أجل هدف رئيسي من أجل تحقيق رابطة فعّالة ودائمة بين الناس (22). وبإمكان العمل البناء أيضاً طمأننة الناس ممن قد ترعبهم حتى فكرة المقاومة اللاعنفية لأية سلطة راسخة، وتقويض أي نظام قمعي دون إثارة أي ردة الفعل كالتّي تثيرها حالة المواجهة. وما يهم حقاً هو أنّ البرنامج البناء والمُطور بشكل متقن يؤسس بنية تحتية لمجتمع جديد قبل أن يتهاوى المجتمع القديم، وهذا يمنع ظهور أي فراغ في السلطة الذي غالباً ما تستغله العناصر الرجعية.

حتى في النزاعات الثورية يجب أن يكون للبرنامج البناء مكان الشرف. وغالباً ما تجاهل كل من المؤرخين والناشطين على حدّ سواء

هذا البعد العادي ولكن الطبيعي والفعال جدًا للاعنف (على الرغم من التغيير الذي بدأ يظهر على بعض الناشطين).

كان غاندي من منح المبدأ اسمه ويعتبر صراعه الطويل في جنوب افريقيا والهند من أطول الصراعات اللاعنفية المعروفة حتى وقتنا هذا، ونموذجًا في هذا المجال ومجالاتٍ أخرى عديدة. ويبنى غاندي على الطبيعة الإيجابية الأصيلة للاعنف من خلال التأكيد على العمل البناء داخل المجتمع ككُمَلٍ أولاً ثم كمنطلق أساسي للمواجهة. رغم أننا نميل إلى الاعتقاد أنّ البراهين القوية كساتياغراها الملح (Salt Satyagraha) وحركة اتركوا الهند (Quit India) هي حكاية الساتياغراها في الهند إلا أنّ غاندي شرح لصديقٍ في إحدى المرات أنّ: "سياستي الحقيقية هي العمل البناء" (23).

اللاعنف التصادمي أو ما أدعوه "البرنامج المُعيق" يمكن أن يكون فعالاً، وبشكل كبيرٍ حتى، ولكن يتطلب منا الحفاظ على الزخم وعلى تماسك المجموعة حتى تحين اللحظة المناسبة، ويتطلب أيضاً أن نحرز تقدماً دون إثارة أية عدائية غير ضرورية من طرف خصمنا، وأن يكون التزامنا الضمني هو تحقيق سلامة الجميع والتخلي عن بقايا إرث المرارة. ولكن كلا الأمرين لا يسهل تحقيقهما دوماً. في النهاية، يقوم القمع على الاعتقاد الخاطئ بأنّ المقموعين لا حول لهم ولا قوة وأنهم

تابعون. لكن اللاعنفة التصادمي لا يساعدنا دائماً في اقناع أنفسنا وشعوبنا ومن يقمنا أنه بإمكاننا إدارة ودعم أنفسنا بأنفسنا.

غالبًا ما يكون علاج هذه الصعوبات في المشاريع الوقائية والمستدامة والملموسة. على سبيل المثال منذ عام 1948 منعت السياسة الاسرائيلية بشكل مدروس أي ظهور للمبادرات الأهلية التنموية بين الفلسطينيين بهدف ترسيخ التبعية لإسرائيل (24). لهذا قدمت المدارس "غير القانونية" وأسواق المقايضة والعديد من الأمور التي قام بها الفلسطينيون لبعضهم البعض خلال الانتفاضة الأولى، التي كانت دليلاً على فشل الاعتقاد الاسرائيلي، دعمًا حيويًا في انتفاضتهم. وبالمثل كان أولى الحملات التي قام بها دولتشي مع الفلاحين الصقليين برنامجًا بناءً دعي "الاضراب المعاكس" (strike in reverse). وقد بدأ العديد من القرويين دون تلقي أي أجر ببناء طريق لهم كانت البيروقراطية الحكومية قد أجلته أو بالأحرى عارضته. وسارعت الشرطة إلى إيقاف العمل ووضعت دولتشي وآخرين في السجن. ولكن مع الوقت تم الانتهاء من بناء الطريق واكتشف الناس أنّ بإمكانهم قيادة تطور مجتمعهم بأنفسهم.

يُظهر المثال الصقلي الجانب الآخر للبرامج البنائية ألا وهو أنّ نجاح هذه البرامج يجذب القمع. قد يدرك الخصم القوة الثورية الكامنة في هذه المبادرات المجتمعية، ويعمل على تقويضها بأي شكل. وقد

يملك الخصم عذراً واهياً لمهاجمة هذه البرامج والمشاركين فيها، ولكنهم يرون في مواجهتها حاجة أكبر. بالتالي لا يجب أن نتفاجأ أو نستاء عندما تواجه برامجنا البنائية هذه الهجمات. إنها طبيعة الساتياغراها، سواء كانت بنائية أو مُعيقة، أن تقود إلى ردة فعلٍ من أجل فضح العنف الكامن والمخفي في أي نظام ظالم. ويمكن أن توضح هذه الهجمات المؤسفة على البرامج للمراقبين وحتى لمن يمارسون القمع أنفسهم أن ما يقومون به ليس صائباً.

تبدأ الحملة اللاعنافية بشكل مثالي بالتمكين الفردي (individual empowerment) بالبحث عن الخيارات البنائية داخل المجتمع. وفي النهاية، إن كان هذا ضرورياً، ستتطلق القوة المُعيقة من موقع قوة. يمكن تطبيق المبادئ عينها من قبل الأفراد وفي مواقف عديدة. بشكل مثير للاهتمام قامت حركات احتلوا في الولايات المتحدة، والتي بدأت كاحتجاجات في أيلول 2011، باتخاذ بعض الإجراءات البناءة بعد أن قامت الشرطة بفض الاحتجاجات. في نهاية عام 2012 على سبيل المثال قدمت كل من حركتي احتلوا ساندي (Occupy Sandy) واحتلوا أوكلاهوما (Occupy Oklahoma) دعماً هائلاً لضحايا الإعصار، ويمكننا القول أنّه كان دعماً فعّالاً أكثر من الدعم الذي قدمته الوكالات كالصليب الأحمر ووكالة إدارة الطوارئ الفيدرالية.

وخلقت حركة احتلوا تعاونية مالية وما يسمى بحركة (Strike Debt)* وقد أطلقت هذه الحركة مشروع (Rolling Jubilee) حيث اشترت ديون الناس وألغتها. بكلمات أخرى تم دعم حركة احتلوا بالبرامج البنائية عندما تم اعتراض برنامجها المُعيق. وحصل هذا بشكل طبيعي لأنه وبالإضافة إلى الاحتجاجات كانت هناك في الحركة عناصر بنائية كإنشاء مطابخ واتخاذ قرارات بطريقة ديمقراطية جداً.

في مواقف أقل حدة ومنتشرة بشكل كبير في يومنا هذا تقدم وبكل هدوء المشاريع المتنوعة التي تتراوح بين الزراعة المدعومة مجتمعياً إلى الجهد المهم جداً لإصلاح الإعلام أساس ثورة لاعنفية في حال أردنا استخدامها في استراتيجية شاملة. هناك أيضاً حركة متنامية نحو عدالة مجددة كشكل من أشكال الاستجابة البنائية لنظام العدالة الحالي غير المجدي والمجرد من الإنسانية (25).

وقد أصبحت هذه الحركة أكثر تحدياً ولكنها ما تزال تعمل ضمن المعايير القانونية. وهي تحاول القضاء على منظمة (Citizens United)* التي قاومت عقيدة المحكمة العليا القائلة بامتلاك الشركات لنفس الحقوق التي يمتلكها البشر (وهذا يشير ضمناً إلى أن الكائنات

* هي حركة وطنية مؤلفة من مقاومين للديون يسعون لتحقيق العدالة الاقتصادية والحرية الديمقراطية. [الترجمة]

* منظمة محافظة غير نفعية تهدف إلى جعل الحكومة بيد المواطنين. [الترجمة]

البشرية لا تملك حقوقاً أكثر مما تملكه الكيانات الجامدة كالشركات). هذه المشاريع بالتحديد تزكي نفسها بنفسها كمكونات فعّالة بشكل خاص في أي استراتيجية بنائية.

عادة ما تنتظر الأنظمة القمعية انطلاق مسيرة أو مظاهرة حتى تتصرف، ولكنها لا تستطيع النجاة من محاولات كسر الاستغلال الذي تمارسه على شعب، أو فتح مدرسة مجانية لتوعية المواطنين عن العقائد التي تلقنها. غالباً وبسبب توجهاتهم العنيفة لا يدرك من يمارسون القمع أنّ الأفعال البنائية تشكل خطراً حتى يكون الأوان قد فات. لطالما تباهى اللورد اروين، حاكم الهند باسم الملك البريطاني، أنه لم يقلق من ساتياغراها الملح ثم خسرت بريطانيا الامبراطورية بالكامل. في هذه الحالة، وقد تكون الحالة الوحيدة، التي يعود فيها الجهل العالمي العام باللاعنف بالمنفعة حقاً.

في عالم مثالي يمكن تحقيق التغييرات الثورية من خلال البرنامج البناء فقط، وحتى التهديد باستخدام الساتياغراها لن يكون ضرورياً. ولكن عالم اليوم أبعد ما يكون عن المثالي. في هذا العالم يوجد الكثير من الاستغلال والقمع وهناك أيضاً العنف البنيوي والجسدي بأشكال متعددة. في مثل هذا العالم تغدو الصيغة المثالية لتحقيق التحرر هي التقليل قدر الإمكان من النزاعات المتأصلة من خلال البرامج البنائية وعزل ومواجهة البقية من خلال الكفاح اللاعنفي. فلنكن بناءً متى

استطعت ومُعيقاً متى كان ضرورياً وتؤكد على الدوام أن منهجك تحكمه
النية السليمة ويوظف الوسائل المناسبة.

الفصل الخامس

تمعن النظر في قلب الساتياغراها

كما لاحظنا فإن اللاعنف والساتياغراها بيدآن من داخل أنفسنا حيث يتوجب علينا أن نتهياً ونتدرب من أجل مقارنة أي صراع بنيّة سليمة. وبالمثل ستكون الساتياغراها ناجعة فقط إن تمّ استخدام الوسائل المناسبة بما في ذلك الاستجابة المتناسبة والقدرة على المساومة والأهداف المحددة بدقة والبرامج البنائية بما يناسب الحالة. ولكن على أي حال ما تزال بعض جوانب الساتياغراها في موضع الاختبار. على سبيل المثال، كيف يجب أن نتصرف عندما يبدأ المنهج اللاعنفي بعدم تحقيق أي نتائج، ولكن الأهم أيضاً كيف نتصرف عندما نكون ناجحين؟ كم عدد الناس الذي تستلزمه أي حركة حتى تحقق النجاح، ومدى أهمية الرموز لأية حركة؟

أخيراً قد يتساءل العديد منا ما إذا كان بالإمكان إساءة استخدام اللاعنف أو أنّ الساتياغراها تتطلب المعاناة من جانب من يستخدمها. ويساعدنا التمهيص في هذه الأسئلة على المضي قدماً في تعريف جوهر الساتياغراها.

رؤية النتائج الحقيقية

للعمل اللاعنفي على الدوام أثر مفيد، وهو يعمل دائماً بشكل جيد في عقول وقلوب الناس. ووفق هذا المنطلق يغدو اللاعنف النقيض التام للعنف الذي يُخلف وراءه إرثاً من الأذى والمرارة والعزلة. وفي احتمالية تحقيقه أو عدم تحقيقه للنتيجة المطلوبة يتساوى كل من اللاعنف والعنف.

عندما نعتقد أنّ الساتياغراها أو اللاعنف فاشلان غالباً ما يكون السبب عدم التوافق بين عمق درجة اللاعنف التي تم التعبير عنها وشدة العنف. ويشكل الاحتجاج العفوي غير المدعوم بأي تدريب أو غير المبني على أية استراتيجية غيضةً من فيض اللاعنف. مجرد تجنب العدوان الجسدي لا يمثل إلا شرطاً صغيراً أساسياً في اللاعنف. عندما تفشل المحاولة الأولى لا يجب أن نتعجل ونستنتج أنّ اللاعنف غير مجدٍ. كما أكدّ مؤخرًا أحد النشطاء الأتراك: "نحن فشلنا في استخدام المنهج وليس هو من أفسلنا".

السبب الآخر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد بأن اللاعنف قد فشل هو فشلنا في ملاحظة الطريقة التي يعمل بها في العمق، والتي تقود بدورها إلى نتائج أكثر أهمية مما أردناه في البداية. وكما يضعها المؤرخ ب. آر. نادا (B. R. Nanda): "الحقيقة هي أنّ الساتياغراها لم تُصمم للحصول على غاية ما أو لسحق الخصم ولكنها صممت لتحرك قوى

ستقود في النهاية إلى معادلة جديدة. ووفق هذه الاستراتيجية يصبح من الممكن تمامًا خسارة كل المعارك ولكن كسب الحرب (26). (تمت إضافة الخط المائل)

هناك مثال مهم على هذا وذلك من خلال ساتياغراها الملح الشهيرة التي كانت تهدف إلى كسر احتكار الحكومة لمادة الملح، وقد سبب هذا الاحتكار الكثير من المعاناة للهنود الفقراء وكان خلاصة شاملة لسطوة القوة الاستعمارية البريطانية في الهند. في الواحد والعشرون من أيار 1930 توجه ما يقارب الألفي شخص إلى معمل دارسانا للملح من أجل استعادة الملح الذي أتوا به من شواطئهم. وتدفق العديد من المتطوعين المنضبطين والعُزل نحو مدخل المعمل حيث تعرضوا هناك إلى الضرب المبرح ولم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم سوى بأيديهم. في نهاية ذلك اليوم تمّ نقل ما يقارب 320 متطوع إلى المشفى وسرعان ما مات اثنان من المتطوعين بسبب الضرب الوحشي. لم تكن التضحية التي قدمها المتطوعون الهنود "مجدية" من منطلق هدفها المباشر، فمعمل الملح ما يزال تحت السيطرة ولم تلغ الضريبة (27). لقد خسروا المعركة. ولكن بعد عدة سنوات من التحضيرات اللاعنفية كان تدريب الناس على هذا قد أصبح أكثر تماسكًا، وعندها فقط "ريحو" المعركة، ولجأت القوة الاستعمارية إلى العصي والأسلحة بينما قاوم المتظاهرون بكل شجاعة وتحمل مع

رفضهم للكره، وعندئذ خسر النظام شرعيته وأُضحت الطبيعة الحقيقية للنظام وأصبح من المقدر للهند أن تحصل على حريتها. كان الأمر مجرد مسألة وقت.

في الحقيقة عندما حصلت الهند على استقلالها بعد سبعة عشرة عاماً تمكن كلا البلدين، الهند وبريطانيا، من وضع نهاية للعلاقة الاستغلالية بشكل وديّ. وعلى نقيض غالبية نهايات الأوضاع الاستعمارية افترق البلدان كصديقين. وعلى حد تعبير المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (Arnold Toynbee) ما قام به غاندي جعل من استمرار البريطانيين بحكم الهند مستحيلاً ولكنه سهّل عليهم الخروج دون ضغائن وإذلال (28). وهذا وصف كلاسيكي لتأثير العمل اللاعنفي ولكن لا شيء مما سبق كان واضحاً للعيان في ذلك اليوم العظيم في معمل الملح في دارسانا.

لم تكن تلك المرة الوحيدة في تاريخ اللاعنف التي يحمل فيها الفشل الواضح بذور نجاح كبير. وبسبب الفجوة في الزمن بين العمل اللاعنفي ونتائجه يمكن ببساطة أن نفقد إمكانية رؤية الصلة، وهذا أحد أسباب فشل الناس في فهم قوة اللاعنف بحد ذاتها. فلنتذكر أننا نبحث عما هو أبعد من النتيجة الفورية والواضحة. قد يكون من المهم حقاً وبالمعنى المباشر إيقاف حرب ما من الاندلاع أو إيقاف اتفاق "تجارة حرّة" خبيث، أو الإطاحة بديكتاتور من السلطة، حيث يسبب الفشل في

تحقيق أي من هذا بشكل مباشر شعورًا بالخيبة. على أي حال ولأنّ النزاع اللاعنفي ليس معركة ربح أو خسارة، ولأن ما يهمنا حقًا هو النتائج البعيدة الأمد، لا يجب أن نفقد الأمل عند أية نكسة. أثناء التدريب على اللاعنف علينا أن نتعلم الثقة بأن النتائج البعيدة - كأن يأتي نظامٌ أقلّ قمعًا أو يحدث تصالح بين كل الأطراف المتصارعة وتتحقق العدالة للجميع - آتية لا محالة.

في الحقيقة يجب الإقرار بأن هذا النوع من الإيمان لا يأتي بسهولة، فعندما تعرّض ستة من متظاهرين سلميين إلى إطلاق النار في شاريفيل في جنوب افريقيا عام 1960 قرر قادة الكونغرس الوطني الافريقي أن اللاعنف لا يكفي للتغلب على نظام الفصل العنصري. وبالتالي خسروا ما يقارب الثلاثين عام في محاولة محاربة النظام بشكل عنيف قبل اطلاق سراح نيلسون مانديلا من السجن، عندها فقط استعادوا الزخم اللاعنفي. وبالمثل فقد كان من الصعب عدم الشعور باليأس إبان القمع الوحشي الذي حصل في ساحة تيانمين (Tiananmen Square). ولكن يساعدنا أحياناً إدراك المنطق العميق للاعنف، وقد يساعد أيضاً أن نتذكر ما قاله المؤرخ ثيودور روزاك (Theodore Roszak): "يجرب الناس اللاعنف لأسبوع وعندما لا يعمل" يعودون إلى العنف الذي فشل على مدى قرون" (29).

التعامل مع النجاح

معرفة أنّ اللاعنف يحتاج لنفس طويل وهو غالبًا ما يكون مشروعًا طويل الأمد يساعدنا في تجنب اليأس والتراجع عندما يبدو الأمر وكأنّ اللاعنف قد فشل (مؤقتًا). على أية حال ما يهم أيضاً هو تجنب الابتهاج عندما لا يفشل اللاعنف، وهذا يعود بشكل جزئي كما نرى إلى أن قياس النجاح أو الفشل في اللاعنف مهمة دقيقة. وبالنسبة للإنسان اللاعنفي فإن الحفاظ على حالته اللاعنفية نجاح بحد ذاته حتى في خضم استفزرات كبيرة.

ولكن حملات اللاعنف لها القدرة على النجاح وهي غالباً ما تتكلل بالنجاح وبشكل واضح أيضاً. ولقد أظهرت العديد من الدراسات الحديثة أن العصيان اللاعنفي مجدٍ أكثر من العصيان المسلح بمرتين وبنسبة أكبر من حيث عدد المرات (30). في الحقيقة وكما يقوم التاريخ تدريجياً بتعديل انحيازه اللاواعي للعنف يظهر المزيد من قصص المقاومة الجماعية الناجحة.

على سبيل المثال في ظل سلطة فيشي في جنوب فرنسا نظّم كل من القس البروتستانتي أندري تروسمي (André Trocmé) وزوجته ماجدا مُجمعاً كاملاً (Le Chambon-sur-Lignon) لإيواء اليهود وللاجئين آخرين خلال الاحتلال الألماني وبنقذوا الآلاف من

الناس. وقد أعجب قائد قوات الاحتلال بشجاعة المقاومين ورفض مخاطراً بنفسه السماح للبوليس السري النازي المحلي بالإغارة على مراكز الإنقاذ.

في الوقت عينه جرى حدث عظيم جداً؛ حدثٌ بنأءٍ جداً وقع في برلين. ففي نهاية الأسبوع الأولى من شهر آذار 1943 تم جمع اليهود من "العرق الآري" وهم في الغالب أزواج لزوجات غير يهوديات من أجل الترحيل إلى معسكرات الاعتقال. وعلى عكس كل التوقعات تجمع ما يقارب ستة آلاف امرأة من زوجات أو أمهات هؤلاء الرجال أمام سجن روزنستراس مطالبين بعودة أحبائهم ورفضن المغادرة. خلال بضعة أيام استجابت الشرطة السرية النازية وأطلقت سراح الرجال وقد تم استعادة بعضهم ممن أرسلوا إلى معسكرات الاعتقال على الفور. في الحقيقة كل هؤلاء الرجال قد نجوا من الحرب. وما يثير العجب أكثر أنّ قادة البوليس السري النازي في العواصم الأوروبية الأخرى ومن يسيطرون على شعوب "مختلطة العرق" نظروا إلى برلين كمثال وقدوة، وكانت هذه المظاهرة الوجيزة مسؤولة عن انقاذ حياة عشرات آلاف الأرواح (31).

بكلمات أخرى حتى أضعف أشكال اللاعنف بما في ذلك المظاهرة العفوية والقصيرة التي خرج بها أناس غير مدربين ولا يملكون فكرة عن آلية عمل اللاعنف أو خطة تؤطر حركتهم المباشرة، كانت مجدية

بشكل فعال في وجه أكثر الأنظمة قمعاً في التاريخ الحديث. مع بعض التدريب وقليل من الاستراتيجية قد تكون النتائج أكثر إبهاراً. كلا المثاليين وبالأخص المثال الأخير يفندان اعتراضاً شائعاً جداً على اللاعنف، ويقول هذا الاعتراض بأنّ اللاعنف لم يكن لينفع مع النازيين. في الحقيقة عمل اللاعنف بشكل رائع عندما تم تجريبه مع النازيين.

عندما يتحقق مثل هذا النجاح هناك أمور يمكننا القيام بها للحفاظ على استمرارية السمة اللاعنفية للتفاعل وضمن عدم ذهاب جهودنا أدراج الرياح. وقد أوضحنا للتو أهمية عدم مراكمة قضايا جديدة من شأنها تحويل الحوار إلى صراع قوى. وما يهم أكثر على أية حال تجنب الابتهاج المفرط بالنصر (triumphalism) كما يفعل لاعب الكرة عند امساكه بالكرة بعد احراز هدف.

خلال المفاوضات الحثيثة في مونتغمري آلاباما، بعد سنة على مقاطعة الحافلات، كان المحامي بالنيابة عن شركة الحافلات قلقاً حيال اعطاء المحتجين ما طلبوه، وبالتالي فتح الباب أمامهم "للتباهي بالنصر الذي أحرزوه على السكان البيض وهذا أمر لن نستطيع تحمله." وبالنظر في هذا الموضوع ينبه كينغ العاملين معه بأنه "ومن خلال اللاعنف نتجنب إغراء اكتسابنا الوضع النفسي للمنتصرين" وتنتهي هذه السيكولوجية (الابتهاج بالانتصار) إلى آلية (أنا ضدك)

القديمة جداً والتي تنظر إلى الحياة على أنها صدام بين أطراف متفرقة وغالبًا ما يكون صدام رموز. وعلى العكس فالسيكولوجية اللاعنفية تتجنب تحويل حالات النجاح إلى "انتصارات" تستقطب وتُبعد الخصوم. نعود هنا إلى ملاحظة توينبي حول غاندي وكيف جعل الاستمرار بالسيطرة على الهند من قبل البريطانيين مستحيلًا، أو بالأحرى أنه، وبشكل جزئي، جعل خروجهم دون ضغائن واذلال ممكنًا.

هناك فكرة أخيرة لا يجب أن ننساها عندما نتعامل مع نجاح العمل اللاعنفي ألا وهي اعتبار النجاح في بعض الأحيان مجرد بداية أو انطلاقة، فاحتمال أنّ العمل لم ينته بعد كبير حقًا. وخلال حالة الابتهاج بالنجاح، أو ببساطة بسبب الاجتهاد، تتفكك العديد من الحركات قبل الوصول إلى حل المشكلة الحقيقية، وهذا الحل هو تدمير فكرة القمع في النهاية وليس تدمير تجسيدها في مجموعة أو شخص معين فقط. وحوليات اللاعنف الراهنة ممثلة بالكثير من النكسات المخيبة للأمال التي لحقت بإطاحات ناجحة كما حدث في الفلبين وصربيا ومصر واليمن وأوكرانيا على سبيل المثال وليس الحصر. بالمثل أيضاً ورغم انتهاء الانتفاضة الفلسطينية (1987-1993) مع توقيع اتفاق أوسلو لم ينجح هذا الاتفاق في تحقيق الحرية الحقيقية للفلسطينيين.

في هذا المجال يبدو الأمر تقريباً وكأن لا شيء يفشل كالنجاح! ولكن قبل الوصول إلى هذا الاستنتاج علينا أن نتذكر أنّ هذه الحركات غالباً، وكما يتضح، غير مكتملة. وكما رأينا غالباً ما يستطيع عنصرٌ بنّاء وقوي تُكمله مؤسسات بديلة جاهزة لملء الفراغ تجنب هذا. في معظم الأحيان تحتاج المثابرة الحثيثة وما يدعوه النشاط الأمريكيين اللاتينيين (firmesa permanente) إلى أن تستمر إلى ما هو أبعد من الانتصار.

إن التزامنا بالقواعد كقاعدة "لا قضايا جديدة" وتجنبنا سيكولوجية المنتصر سنتمكن وقتها من الاستمتاع بالنجاح الذي يمكن اللاعنف وحده أن يعطيه ولا يمكن لأحد أخذه أبداً.

أهمية (أو عدم أهمية) الأرقام

لأنّ اللاعنف في النهاية قوة روحية مبنية بشكل أساسي على "قوة الشخص" داخل الفرد يلعب الفرد دوراً أكثر محورية في اللاعنف من بقية الخيارات الصادمة كالعمل العسكري الذي يحاول إلغاء أي دور للمرء من خلال البدلات العسكرية والعقائدية وسلسلة صارمة من الأوامر وما إلى هنالك. هناك أوقات بالطبع تكون فيها الأرقام مفيدة. قد يتمكن فريدناند ماركوس (Ferdinand Marcos) أو حسني مبارك من التخلص من بضع المئات من الناس المجتمعين في الساحات ولكنهم

لا يستطيعون تجاهل الملايين بالأخص إن ثابروا على البقاء حتى بعد إطلاق الرصاص عليهم.

خلال الاضراب الفلبيني الناجح تمت صياغة مصطلح "قوة الشعب" للتعبير عن القوة الجمعية للجماهير الثائرة. ولكن يقدم الكاردينال جيمي سين (Jaime Sin)، وهو أحد المشاركين في الإضراب، الملاحظة التالية الدقيقة:

"كان الأمر رائعًا. كان أشبه بملونين من القرارات المستقلة. فكل فرد قال في داخله، 'سأقوم بالأمر' وخرج الجميع للقيام بالأمر." (تمت اضافة الخط المائل). بكلمات أخرى فحتى قوة الشعب مصنوعة مما أدعوه قوة الشخص والإرادة الملتزمة للأفراد الشجعان.

يعتمد اللاعنف وفي أي وقت يمكن استخدامه فيه على الإقناع أكثر مما يعتمد على الإجبار، ويمكن استبدال الأرقام بوضوح الرسالة. فحتى الشاعر الأمريكي العظيم هنري ديفيد ثورو يعتقد ذلك. وفي حديثه عن العبودية قال ثورو: "أنا أعلم هذا تمامًا، لو تمكن ألف رجل أو مئة رجل أو عشر رجال، عشر رجالٍ صادقين فقط، أجل لو تمكن رجل صادق فقط من التوقف عن امتلاك العبيد، لو تم سحب الجميع حقًا مع هذه العلاقة (السيد والعبد) وتم وضعهم في السجن سيتحقق إلغاء الرق في أمريكا. وما يهم ليس كم هي البدايات متواضعة: فما يتم اتقانه مرة يستمر للأبد" (33).

وحقيقة أن مثل هذا الفرد صاحب الرؤية والتصميم سيجمع الأرقام عندما يكون هناك حاجة إليهم. وهذا جزء من المبدأ الذي دعاه غاندي بقانون التقدم (law of progression) وقدمه في صورة زاهية: "نهر الغانج لا ينحرف عن مساره في بحثٍ عن الروافد، والساتياغراها أيضاً لا تنحرف عن مسارها الحاد كحد السيف. ولكم كما تنضم الأفرع بتلقائية إلى نهر الغانج في تقدمه هذا ما يحدث تماماً مع النهر الذي هو الساتياغراها" (34).

لذلك الأرقام مهمة في الساتياغراها باستثناء عندما لا تكون كذلك. وعندما تكون الأرقام مهمة قد يتمكن الشخص المناسب من جمعها. وهذا الأمر يستحق ألا ننساه لأننا عندما لا نعي تماماً قوتنا (هذا ما يحدث غالباً)، نستعين بقوة الأرقام. وهذا أمر طبيعي ولكن لا يجب أن يشغلنا عن استكشاف القوة من الداخل.

عندما انشغل البريطانيون بالحرب العالمية الثانية شعر غاندي بأنه لا يستطيع تعليق صراع الحرية ولكن في الوقت عينه كان متردداً حيال الاخلال بمبدأ اللاعائق (non-embarrassment) الذي ذكرناه فيما يتصل بصراعه في جنوب افريقيا 1913 خلال اضراب السكك الحديدية. ولحل هذا قام غاندي بتعيين شخص واحد، كان وقتئذٍ مرافقه الأمين فينوبا بهاف (Vinoba Bhave) والمعروف بأنه خليفة غاندي الروحي، للقيام بالعصيان المدني وتعطيل المحاكم (court arrest).

ونتيجة لذلك فهم البريطانيون أن الساتياغراها لن تنتهي ولكن كان عليهم ادراك المعروف الذي قدمته من خلال تعليقها بشكل مؤقت خلال الوقت الذي انشغلوا فيه بالحرب حيث لم يكن "الحوار" حول الحرية ضمن نطاق اهتمامهم. لاحظوا أنّ هذا التكتيك ليس رمزاً خالياً من أي معنى: فينوبا كان شخصاً حقيقياً لم يتعاون مع القوانين الواقعية ودفع غرامة حقيقية ليُلفت أنظار النظام إلى أن الصراع من أجل الحرية لن يذهب سدى. لكن على أي حال كان شخصاً واحداً فقط.

في بعض الأوقات تغدو الأرقام أساسية ولكن وضوح الغاية والالتزام أساسيان على الدوام. إن بقيت حركة ما على مسارها سينضم إليها الناس عندما يتطلب الأمر.

فائدة الرموز

الرموز كالأرقام محدودة الاستخدام في الساتياغراها، وكما نذكر فإن معنى الساتياغراها هو "التمسك بالحقيقة". ومع مبالغتنا في تقدير أهمية الأرقام ننحى إلى الإفراط في استخدام الرموز. وقد يكون المثال الأكثر مأساوية على الاستخدام الخاطئ للرموز المجزرة التي وقعت في ساحة تيانمين في الرابع من حزيران 1989، حيث اجتمع الطلاب والعمال والعديد من المناصرين بأعدادٍ كبيرة لإثبات تضامنهم ورغبتهم بالإصلاح.

ولأنهم كانوا يفتقرون إلى استراتيجية بعيدة الأمد غدت الساحة بحد ذاتها ورفضهم لمغادرتها رمزاً لعصيانهم وابتعاداً عن الهدف الشرعي الأبرز في تحقيق الإصلاحات الديمقراطية. كلنا نعم مالذي حصل فيما بعد. من جهة أخرى وفي حال ترك المقاومون الساحة وعادوا إلى جامعاتهم وقراهم وعلّموا الناس اتخاذ خطوات واضحة وممكنة نحو التغيير لربما بقيت حركة الديمقراطية في الصين والناس الشجعان ممن مثلوها على قيد الحياة.

هذا لا يعني أنّ الاعتصامات وحركات احتلوا غير مجدية. فعندما سيطر عشرات آلاف المتظاهرين المحليين بشكل لاعنفي على مقر الكونغرس الإكوادوري عام 2000 كان للحدث تأثيراً قوياً بالرغم من التغلب على قادة الحركة بمناورة بارعة وفقدانهم القوة خلال بضعة أيام فقط. بعد سنتين على هذا وبعد تنظيم عام شامل وغير معروف تم انتخاب أحد القادة السابقين وأصبح رئيساً.

تتقاطع الثورة في الإكوادور مع الثورة في ساحة تيانمين ولكن مع ثلاث اختلافات بين الثورتين أدت إلى النجاح النهائي للثورة الأولى. أولاً لم يحتل المحتجون رمزاً للسلطة بل مكاناً للسلطة. ثانياً لم يطلبوا الأخذ بزمام الأمور بل بدأوا العمل عندما كانوا أقوياء كفاية للقيام بذلك. ثالثاً كانوا قادرين على الاستمرار حتى بعد انتهاء الاحتلال

بمعنى أن للاحتلال ماضٍ ومستقبلٍ وجزءًا من حملة أكبر يمكنها استخدام مجموعة من التكتيكات التصادمية أو أخرى.

بالتأكيد التماسك يصنع كل الفرق بين النجاح والفشل عند اللجوء إلى اللاعنف كما يصنع في كل شيء آخر. حيث يجب الحفاظ على المثابرة من أجل الرموز الحقيقية والنادرة حقًا. خلال مسيرة الملح الشهيرة 1930 أظهر غاندي تمرسًا في الأداء وتماسكًا في استخدام التعابير الرمزية، فقد انطلق ماشيًا لأكثر من مئتي ميل إلى البحر لكسر قوانين استثمار الملح غير العادلة من أجل أبسط فعل ممكن ألا وهو التقاط حفنة من الملح. ولكن غالبًا ما تنسى حقيقة أنه كان متوجهًا إلى البحر الحقيقي لجمع الملح الحقيقي. وهذا الفعل فعلٌ بناءً وحقيقي وفي حالته تلك فعلٌ غير قانوني. وبالمثل لم تكن المسيرة العظيمة (Great March) في جنوب إفريقيا قبل خمسة عشر عامًا على مسيرة الملح مجرد احتجاج، فقد توجب عليه نقل ثلاثة آلاف من عمال المناجم المضربين عن العمل وعائلاتهم التي أصبحت بلا مأوى نتيجة للإضراب إلى مقره (ashram) أو مجمعه الروحي. ومجددًا كان هذا الفعل فعلًا خارجًا عن القانون. لم تكن أي من المسيرتين رمزية فقط بل كانتا أفعالًا حقيقية يصاحبهما أيضًا بعض الرنين الرمزي. بالتالي ورغم قدرة الرموز على تحسين أو خلق الأفعال الحقيقية لا يجب أن تأخذ مكان الأفعال الحقيقية.

هل بالإمكان إساءة استخدام اللاعنف؟

عندما يتم تطبيق اللاعنف بشكل صحيح لا يمكن إساءة استخدامه. لسوء الحظ قد يساء استخدام اسم اللاعنف وهذا ما يحدث غالباً. على سبيل المثال أشارت مجموعة من مَلَاك الأسلحة في كاليفورنيا إلى رفضهم تسجيل بنادقهم على أنه "عصيان مدني" نسوا فيه أنّ امتلاك سلاح قاتل أبعد ما يكون عن الكياسة أو اللاعنف.

من الممكن أيضاً استخدام التكتيكات اللاعنفية أو التكتيكات التي لها مكان في اللاعنف في سياق آخر غير اللاعنف. في عام 1991 أراد المتظاهرون الدخول إلى ولاية كوجارت في الهند للتظاهر ضد بناء السدود على نهر نارمادا التي سببت خراب الكثير من القرى وكان لها تداعيات بيئية واجتماعية كثيرة ومدمرة. ولكن موظفي حكومة كوجارت ممن لديهم أسبابهم الملتوية الخاصة من وراء بناء السد جمعوا طلاب المدارس لصد المتظاهرين وهم يغنون أغاني غاندية!

لهذا السبب يغدو من المهم حقاً إبعاد الناس ممن لا يزالون يناصرون العنف عن تشويش الحركة اللاعنفية. في مظاهرات الوقت الراهن أو في الأفعال اللاعنفية الأخرى تغدو هذه الخطوة مهمة بقدر أهمية الثبات على أهداف أساسية، المساومة يمكن أن تكون على أي

شيء آخر. خلال حركة احتلوا اللاعنفة بشكل أساسي كان هناك من اعتقد ان استخدام "القليل" من العنف أمر مقبول، ككسر نافذة هنا أو حرق حاوية قمامة هناك، وكل هذا تحت مسمى "تعددية التكتيكات". ولكن هذا فساد في حركة اللاعنف. حتى عندما يأخذ المرء المسألة بعيدًا عن المجال الأخلاقي وينظر إليها على أنها مسألة فعالية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالفعالية على المدى البعيد. ويتضح حقًا أنّ حتى "القليل" من العنف يحول حركة اللاعنف إلى حركة إشكالية، وبالتالي تصبح ضعيفة. بكلمات أخرى ليست مسألة الاختلاف بين العنف واللاعنف مسألة "تعددية" كالاختلاف بين طائر وآخر. إنهما نقيضان ولهما آثار متناقضة. أيضًا اللاعنف ليس تكتيكا على أية حال بل قوة حية.

دور المعاناة في الساتياغراها

في معسكر أوشوتز عام 1942 احتجز عشرة بولنديين وتم تركهم ليموتوا من الجوع في زنزانة تحت الأرض بسبب هرب أحد السجناء، ولكن ما أثار استغراب الجميع تطوع سجين آخر للموت جوعًا بدل أي رجل من الرجال العشرة غير المحظوظين. كان هذا السجين الأب ماكسيميليان كولبي (Father Maximilian Kolbe) والمعروف حاليًا بقديس أوشوتز. على الرغم من إعدامه بعد عدة أيام إلا أنّ تضحيته

المُلهمة حققت فرقاً هائلاً في معنويات السجناء وربما أنقذت المئات من الاستسلام لليأس وللموت في تلك الشروط غير المُحتملة.

عندما يأتي الوقت الذي يتطلب فيه صراعاً ما استخدام الساتياغراها (وهو الوقت الذي يصل فيه إلى المستوى الثاني كما يتضح من الشكل في الفصل الرابع) لابد أن يكون هناك بعض الناس في حالة معاناة ولكن معاناتهم التي يتحملونها صاعرين لا توظف الرحمة في قلوب خصومهم. في الواقع، إن لم يتم التعامل مع الأمر سرعان ما سيبدو هذا الموقف أو الوضع الظالم وكأنه وضع طبيعي تمام أو كأنّ الخطأ من جانب الضحية. فلتأخذوا على سبيل المثال المعاناة الطويلة الأمد للفلسطينيين في الأراضي المحتلة والألبان في كوسوفو خلال تسعينات القرن الماضي، أو الملايين ممن يعيشون في فقرٍ حالياً. هؤلاء أمثلة من بين عدد لا يحصى من ضحايا العنف المُنظم الذي تسببه البنى الاجتماعية والسياسية الظالمة أكثر مما تسببه القوة الواضحة للعنف، على الرغم من أنّ هذه البنى غالباً ما تكون مدعومة بالقوة المباشرة أو العنف أيضاً.

عندما لا نعود قادرين على قبول القمع لدينا خيار تحويل أنفسنا إلى ما يشبه مانع صواعق المعاناة المفروضة من أجل ايقاظ الآخرين ووضع نهاية للأمر، وما قام به الأب كولبي مثالاً على هذا. بالمثل كانت آمال الطلاب المشاركين في مؤامرة الزهرة البيضاء (White

(Rose conspiracy) المشؤومة ومن انتقضوا على النظام النازي في ميونخ في أوج الحرب العالمية الثانية منصبة على فكرة أن يكون للمخاطرة التي يقومون بها الأثر نفسه الذي تحقق عندما وزعوا نشرات تدعوا إلى المقاومة السلبية، رغم أنهم بالكاد يفهمون ماهية هذه المقاومة ولا يدركون أن المقاومة السلبية جانب من جوانب اللاعنف أو الساتياغراها. وهم مدركون أنهم يواجهون موتاً حتماً حيث لم ينج سوى واحد فقط من هذا القدر، ولكنهم فكروا بالأمر من منطلق "أن تنتهي في رعب أفضل من رعب لا ينتهي". هذا هو المقياس الأخلاقي الذي يتوجب علينا استخدامه في حالات القمع الشديد.

الصيام في الساتياغراها

إن نسبة حدوث وفيات في الصراعات اللاعنفية أقل من نسبتها في الصراعات العنيفة، ولكن كما يظهر من مثال الأب كولبي ومؤامرة الزهرة البيضاء من الضروري أحياناً وضع الحياة على المحك. الصيام وخاصة الصيام المفتوح، أو "الصيام حتى الموت" كما دعاه غاندي، أحد أشكال هذا العلاج الجذري التي يمكننا استخدامها. ويمكن أن يكون الصيام، كجزء من مرحلة الإقناع الثالثة في الصراع اللاعنفي، طريقة فعالة في إيقاظ وعي الآخرين بالمشكلة، عندما يكون هناك استعداد لتحمل أية معاناة في سبيل تصحيح هذه المشكلة. على أي حال يمكن

أن يكون هذا المنهج أداة اجبار وليس اقناع مما يجعله متعارضاً مع جوهر الساتياغراها. بالتالي، يجب اعتماد الصيام كعمل من أعمال الساتياغراها (الذي يتعارض مع فعل التطهير الشخصي) كحلٍّ أخير، وحتى عندما يُعتمد يجب أن يتم ذلك وفق شروط محددة فقط.

- أولاً: على الصائم أن يكون متيقناً من أنه أو أنها الشخص المناسب لمثل هذه التضحية. وهذا يتطلب قدرة الفرد على التحكم برغباته حتى على رغبته بالحياة، ولا يجب أن يكون دافعه الحقد على خصمه.

- ثانياً: يجب أن يكون العمل موجهاً إلى الناس ممن لا يمكن الوصول إليهم إلا من خلال العمل المتطرف. وإن لم يملكوا حتى تلك الدرجة من الاهتمام أو لا يفهمون منطق التضحية (كما هي الحالة في الغرب عموماً) يكون الصوم وقتنئذٍ تقنية خاطئة.

- ثالثاً: يجب أن يكون الصوم من أجل تحقيق هدفٍ واقعي. فالرغبة العامة بتحقيق "السلام العالمي" أو غيره، وعلى الرغم من نبل القضية لا يمكن أن يتحقق بالصوم. وكما هي الحالة دوماً فالصائمون لا يمتلكون قبضة قوية على مخيلة الملايين من البشر.

- رابعاً: لا يجب القيام بالصيام في سياق حملة لاعنفية حقيقية. فالصيام الذي قام به سجناء الجيش الايرلندي الجمهوري في سجن لونغ كيش لم ينسجم مع هذه المعايير. بالتالي ورغم شجاعة وتضحية الصائمين فقد عشرة أشخاص أرواحهم دون أن يحقق هذا أي تغيير اجتماعي حقيقي.

- أخيراً: لنتذكر أن الصوم ليس خياراً قبل أن يتم اللجوء إلى كل الخيارات الأخرى.

عندما يتم تحقيق كل هذه المتطلبات يمكن للصوم أن يقوم بالمعجزات. وقد كان غاندي المعلم الأشهر باستخدام هذه التقنية. وقد دفع "صيامه التاريخي" عام 1932 البريطانيين إلى سحب ناخبين مستقلين عن طوائف هندوسية متشددة وغير متشددة. وساهم صيامه "معجزة كالكوتا" عام 1946 في إنهاء شغب شعبي عجزت الشرطة والجيش عن السيطرة عليه. ولكن رغم هذا شعر غاندي في النهاية بأنّ بعضاً من حالات الصوم التي قام بها إكراهية، بالتالي، ومن وجهة نظره، كانت محاولات فاشلة.

الإسكاف بزمام الأمور

في الساتياغراها نحن لا نبحث عن المعاناة من أجل المعاناة بحد ذاتها، ولا نريد أن نصبح شهداء أنفسنا. ولكننا نفهم الاختلاف العظيم

بين المعاناة السلبية التي يمر بها الملايين والتي لا تحقق تأثيراً واضحاً للعيان وبين الاستعداد لتحمل المعاناة كما فعل الأب كولبي من أجل قضية أسمى عندما لا ينفذ أي طريق آخر. والنوع الأخير من المعاناة دعاه كينغ "المعاناة غير المستحقة" وهي تستخدم قوة اللاعنف.

قد تكون الصراعات اللاعنفية قاسية خاصة في المراحل الأخيرة من الصراع. ولذلك من المفيد أن نُذكر أنفسنا وعلى المدى الطويل أن المعاناة التي تم قبولها بشكل طوعي خلال الصراع اللاعنفي ستكون أقل بكثير مما قد يتسبب به قبول وضع ظالم أو اللجوء إلى العنف للتخلص من المشكلة. على سبيل المثال ورغم موت آلاف الناس خلال صراع الحرية الهندي وبالأخص نتكلم هنا عن مجزرة أميرستار 1919 حيث مات الملايين من الناس كضحايا سلبيين، وهذا ما حدث في "مجاعة البنغال" عام 1943 عندما تمت مصادرة معظم محصول الأرز لصالح الجيش البريطاني. بالمثل وكما يوضح كينغ لقد قتل عدد أكبر من الناس خلال ستة ليالٍ من الشعب في ديترويت أكثر مما قُتل خلال ست سنوات من العصيان المدني في الجنوب الأمريكي.

هناك قاعدتان أساسيتان بخصوص المعاناة عندما لا تصيح واقعاً. أولاً كلما أسرعنا في الاستجابة للصراع بشكل فاعل ولاعنفي كلما تحملنا معاناة أقل في سبيل حل هذا الصراع. وثانياً كلما ازداد

استعدادنا للمعانة بشكل طوعي كلما كانت المعانة المفروضة أقل
وطأة.

الفصل السادس

ما الذي تعلمناه؟

اللاعنف قدرة فطرية في الطبيعة البشرية، هو ليس وصية أخلاقية وأبعد عن أن يكون تجريداً فلسفياً. اللاعنف الذي قدمته، هنا على الأقل، عبارة عن طاقة تعمل مع وعلى جميع الكينونات الحية. وهي طاقة قابلة للفهم والتوقع والتحكم كالعديد من القوى في الطبيعة. وعلى الأرجح قد يكون الأمر الأكثر أهمية، والذي نحتاج إلى فهمه حول اللاعنف، هو أنّ اللاعنف ليس غياب شيء ما بل هو قوة إيجابية. إنّه قوة الحب رغم أنّه في كثير من الاحيان لا يبدو كذلك. ويوضح كينغ بأنّ حركة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة لم تسبب فوران الغضب بل "عبّرت عن الغضب المضبوط من أجل تحقيق أثرٍ أعظمي". هذا الضبط للغضب ليس شكلاً من أشكال القمع، فعندما نقوم به بشكل صحيح فإن ذلك يُسهّل على غضبنا التحوّل إلى قوة خلاقية. اللاعنف قوة يحررها تغييرٌ في الدافع السلبي.

هذا التغيير أو التحوّل في الطاقات السلبية أو الهدامة داخل الكائن البشري ليس عملية نضجٍ للفرد فقط بل يمكن أن يكون لها تأثير مذهل على الخصم، تأثير لا يوازيه تأثير التهديدات أو الأسلحة. خلال ثورة قوة الشعب الفلبينية الناجحة عام 1986، وهي مثال من بين

الكثير من الأمثلة التي يمكننا عرضها، تحدى الجنود أوامر رؤسائهم المباشرة ورفضوا اطلاق النار على المتظاهرين السلميين. وقد تمت رؤيتهم في كثير من المواقف منهارين تحت وطأة الدموع والعجز (35).

لذلك، ومن خلال ملاحظته لهذا التأثير، صاغ كينيث بولدينغ (Kenneth Boulding) مؤسس بحوث السلام الحديث، مصطلح "القوة التكاملية" (integrative power) ووضعه في مقابل مصطلح "القوة التهديدية" (threat power) و"القوة التبادلية" (exchange power) (36). القوة التكاملية هي قوة يتم تحريرها عندما نقوم بالتزام قول الحقيقة حول ارتباطنا ببعضنا حتى لو كان الخصم يمارس العنف مع تلك الحقيقة وربما يمارس العنف حتى مع شخصنا. يرى الخصم نفسه مُستقلًا عنا بينما يمكننا نحن رؤية فقدانه لرؤية تلك الوحدة، وبالتالي يمكننا مساعدته على رؤيتها أيضًا. والنتيجة كما يقول بولدينغ هي تقارب الطرفين في النهاية. فعندما نتحكم بالدوافع الواضحة داخلنا من أجل هذه الغاية لا يعود لـ"التحكم" معنى "القمع". كان غاندي على دراية تامة بهذه الآلية: "لقد تعلمت من خلال التجربة المريرة أنّ الدرس الأسمى هو تحويل غضبنا، تمامًا كما تتحول الحرارة إلى طاقة. لذلك حتى غضبنا يمكن أن يتحول إلى قوة تستطيع تحريك العالم" (37).

يضيف كينغ بعض التوضيحات بخصوص هذه العملية التحويلية كما في الاقتباس السابق (الذي يستحق الإعادة) حول أن نشطاء

الحقوق المدنية في الولايات المتحدة تحكّموا بغضبهم وأطلقوه مضبوطاً من أجل تحقيق أثرٍ أعظمي. يتضح من هذا المنظور وبطريقة مُلفتة أنّ قوة اللاعنّف كامنّة فينا وهي تنتظر فقط أن تتحرر في حال كان هناك نزعة للعمل انطلاقاً من غضب أو خوف. إن عرّفنا اللاعنّف على أنّه قوة تتحرر بتحويل الدافع السلبي كالخوف أو الغضب الذي يمزق الناس فيما لو عبروا عنهما بشكليهما الصرف، فإن هذا التحويل يقصد به قوى وأدوات التعبير السلبية عن الغضب أو الخوف والمعروفة بالعنّف.

طريقة في الوجود

إذاً اللاعنّف ليس تجرّيداً أخلاقياً أو فلسفياً وليس مجرد مجموعة من التكنيكيات بل هو منهج حقيقي. وقد حقّق الناس ممن حاربوا من أجل حريتهم تغييرات مذهلة فقط من خلال رفضهم حمل السلاح. وكما أخبر أحد المتظاهرين اليمنيين صديقاً لي في عام 2012: "لا يمكنهم هزيمتنا لأننا تركنا أسلحتنا في البيت!" ولكن تتحقّق النتائج الأعمق والأكثر ديمومة عندما نترك الحقْد في منازلنا.

عندما ننقن هذا، وأرجو أن يكون الكتاب قد قدّم بعض الأفكار حول كيفية تحقيقه، يمكننا أن نرى العنّف في عالمنا الحالي من منظور أكثر تفاؤلاً وتحدياً، حيث يصبح كل هذا الغضب، سواء أثارته وسائل

الإعلام أو الظلم في نظامنا الاقتصادي أو مهما يكن سببه، مادةً أولية لحركة اللاعنف! فالتعبير عنه بشكله الواضح سيكون هباءً.

يعتقد العديد من الناس أنّ اللاعنف تكتيك يتم تبنيه عندما لا يتوافر خيار أفضل، أو لأن أي عنف من طرفهم سيلقى قمعاً شديداً أو ربما بسبب عدم امتلاكهم للأسلحة الضرورية، لذلك هم غالباً ما يحتفظون بحق العودة إلى استخدام العنف في حال فشلوا في استخدام خيار اللاعنف. ومهما كانت ميزات هذا المنهج فهي بالتأكيد أفضل وتتطلب شجاعة أكبر من تلك التي يتطلبها العنف. أمل أنني كنت واضحاً حيال إمكانية الإرتقاء عالياً عند استخدام اللاعنف كمبدأً وكأسلوب كينونة في العالم.

وفق هذا المنهج لا يعود اللاعنف ملاذاً حقيقياً للضعفاء بل يستدعي نوعاً جديداً مع القوة. وهذه القوة ليست الامتناع عن القيام بشيء بل استخدام نوع من القوة الايجابية. وكلما ازدادت قدرتنا على العمل وكنا خاليين من أي حقد كلما ازدادت قدرتنا على مقاومة ما يقوم به الآخرون دون التمني أن يلحق بهم أي أذى، وازدادت قدرتنا على "التخلص من الخصومة وليس التخلص من الخصوم أنفسهم" - كما في كلمات غاندي (38)، وتعاضمت هذه القدرة أو القوة لدينا. وبطريقة لم نفهمها بعد فإن هذا الموقف أو النظرة الشاملة لتشابك العلاقات يحرر الطاقات التي تقود بدورها إلى تغيير أعمق وأكثر ديمومة.

والقول بأنّ اللاعنّف ليس مجرد استراتيجية لا يعني أنّنا لسنا بحاجة إلى استراتيجية. وكما رأينا فإنّ هذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. ولكن هناك سمة مميزة للاعنّف لا يمكن أن تحملها القوة العسكرية أو العنف، وهي أنّ فكرة تنفيذ المبدأ استراتيجية فعّالة أيضاً. وعلى النقيض من العنف حيث نميل إلى الفكرة التعيسة التي تقول بأنّ الوسائل الخاطئة يمكنها أن تحقق غايات صحيحة. ففي اللاعنّف ليس علينا أن نختار بين الشيء الحقيقي والشيء الأكثر فعالية، فعلى المدى الطويل هما متشابهان. على سبيل المثال لو تجاوزت فرصة امتهان أحدهم فقط لأنك تعتقد بالمبدأ القائل أن كل فرد له الحق بأن يُحترم، سيمنحك هذا استراتيجية فعّالة تماماً لتقريب هذا الفرد منك. ويصف أدولف بيريز اسكويفال (Adolfo Perez Esquivel) الحائز على جائزة نوبل للسلام، الوضع كما يلي: "من خلال التوقع وأثناء عملية التغيير بحد ذاتها يزرع العمل اللاعنفي القيم التي ستنتهي إليها هذه العملية. وبالتالي لا يتحقق السلام باستخدام أدوات الحرب، ولا يحاول البناء من خلال الهدم" (39).

حركة على امتداد العالم

في عام 1939 كتب غاندي: "يقوم تفاؤلي على إيماني بالإمكانات اللامحدودة للفرد على تطوير اللاعنّف. وكلما طوّرتّه في

كينونتك كلما أصبح أكثر انتشارًا حتى تغطي كل محيطك وتدرجيًا سيكتنف كل العالم" (40). في السنوات اللاحقة لهذا الكلام الذي كتبه غاندي ورغم أنها كانت سنوات عنيفة بدأ العالم يصحو. في الحقيقة يُقدَّر أنّ أكثر من نصف العالم الآن يعيش في مجتمع متأثر بشكل مباشر بالحركة اللاعنفية (41).

لقد مرّ تاريخ اللاعنف الحديث بالعديد من التغييرات النوعية التي كانت ذات عونٍ كبير في "الانتشار حول العالم". أولًا نحن نتعلم أنّ لكل ثقافة أساليبٍ محلية للاستجابة بطريقة خلاقة مع أي صراع، وأتّه من الممكن تعبئة هذه المناهج أو الأساليب في أي صراع لاعنفي طويل الأمد. على سبيل المثال بدأ السكان المحليون ممن يلعبون دورًا حاسمًا في الصراعات البيئية بالتنسيق والتشبيك مع بعضهم البعض حول العالم.

ثانيًا نحن نعلم الآن أن اللاعنف يمكن أن يحدث دون وجود قائد ذو سمات مميزة في حال لم يوجد مثل هذا القائد، وهذا ما يحدث في معظم الأوقات. على أية حال يمكن دعم الحركات بشكل ملموس من خلال تدخل فرق السلام أو مساعدة طرف خارجي مؤهل. علاوة على ذلك ومن أهم التطورات التي حدثت أنّ الناس بدأوا يتعلمون، كما لم يحدث من قبل، كيفية تعليم الآخرين ما كسبوه من النجاح أو الفشل الذي اختبروه في حركاتهم الخاصة. على سبيل المثال أرسل مركز

الأعمال والاستراتيجيات اللاعنفية المتقدمة (Center for Advanced)
أفرادًا نجحوا في عصيان (Nonviolent Actions and Strategies)
أوتبور (Otpor rebellion) (أوتبور منظمة سياسية صربية بدأت عام
1998) ممن أطاحوا الرئيس سلوبدان ميلوسوفيتش في 2000 إلى
مصر وأماكن أخرى تواجه صراعات مشابهة.

ثالثاً: معظم الحركات اللاعنفية، بطريقة أو أخرى، واللاحقة
لمرحلة غاندي وكينغ - وهي في الحقيقة حركات كثيرة - كانت في
الغالب وبشكل حصري مُعيقة كسيل من حالات العصيان المسلح التي
حصلت على تسمية "ثورات ملونة" في أوروبا الشرقية والربيع العربي
اللاحق لهذه الثورات. كان القليل منها بناءً حقاً. أحد أكبر وأهم الأمثلة
على مثل هذه الحركات حركة عمال دون أملاك (Landless Worker
Movement) في البرازيل التي منحت عشرات الألوف من العائلات
الأرض وموارد العيش وبهذه العملية خلقت مجتمعات، ولكنها بأي حال
لم تجد طريقة خلاقة للتعامل مع المقاومة التي أطلقها ملاك الأراضي
رداً على هذه الحركة. مع بعض الاستثناءات كالإنتفاضة الفلسطينية
الأولى في فلسطين التي بدأت عام 1987 وحتى 1993، لم نشهد
حملة قوية ومستمرة كصراع الحرية الهندي الذي استطاع العمل وفق
المنهجين، وكان له طريقة خاصة في التحديد الاستراتيجي حين تكون
مُعيقة وحين تكون بناءة.

على أية حال هناك وعيٌ متزايد حيال هذه الإمكانيّة، وعندما يتكرر هذا النوع من الحركة مجدداً والمبني على سيرورة التطور من التمكين الذاتي إلى البرنامج البناء وحتى الساتياغراها عندما تكون مطلوبة (وستكون على الأغلب مطلوبة) قد نبدأ وقتها برؤية القدرة الكاملة للاعنف في تغيير العالم (42).

أخيراً انتقل العلم الحديث من التركيز على الماديّة العقلانية (مع كل الانفصالية وغياب المعنى الذي يترتب عليه هذا الرأي) إلى صورة أكثر قوة عن الطبيعة البشرية والعالم المنسجم بشكل آخاذ مع تقاليد حكيمة أبدية. وهذه الصورة، كما ترسخها كل من الحكمة والعلم على حد سواء، صورة عن التعاطف والتعاون الفطري وهي بدورها تمهد الطريق أمام قصة ثقافية يكون فيها اللاعنف مألوفاً كما العنف حالة مألوفة الآن. على كل حال ما زال اللاعنف حتى اليوم ضيقاً غير مرّحب به.

"أولئك الذين يشعرون بانجذاب تجاه اللاعنف"، يقول غاندي، "عليهم أن يخوضوا في التجربة". ومع كل سنة يتضح أكثر وأكثر أنّ لا شيء سوى هذه الحياة على المحك. أتمنى أن تكون الومضات التي قدمتها في هذا الكتاب عن تاريخ وإمكانات اللاعنف، على الرغم من الإيجاز، قد أوضحت أنّه ورغم مطلب العمل والتضحية في استخدام

اللاعنف إلا أنه بإمكاننا استخدام هذه القوة لتوجيه القدر البشري نحو هدف أسمى وهو الهدف الأكثر إلحاحًا في وقتنا هذا.

ملاحظات ومراجع

1. Harijan, September 1936. Gandhi was essentially translating a common phrase found in the Indian epics and other literature: ahimsa, paramo- dharma, “Nonviolence is the supreme law,” the fundamental upholding principle of the universe.
2. Christian Peacemaker Teams, Year in Review February 2010– 31 (October 2010).
3. It is difficult to find an overview of the “new science,” which involves so many disciplines and is filling in rapidly. For a starting point, see the Metta Center Web site, mettacenter.org.
4. Andrew Young, *A Way Out of No Way* (Nashville: Thomas Nelson, 1996).
5. Much of this evidence is assembled by Jeremy Rifkin in *The Empathic Civilization* (New York: Penguin/Tarcher, 2009).
6. Martin Luther King Jr., *Stride toward Freedom: The Montgomery Story* (New York: Harper & Brothers, 1958).
7. See, for example, Sharp’s documentary film *Where There Is Hatred* (Maryknoll, NY: Maryknoll World Productions, 1990) or *Waging Nonviolent Struggle* (Boston: Porter Sargent Publishers, 2005).
8. Interested readers can find many tactics in Part 2 of Gene Sharp’s classic work *The Politics of Nonviolent Action* (Boston: Porter Sargent Publishers, 1973), although from a principled point of view a few of his 198 tactics would not quite fit, such as those that involve shaming one’s opponent. For the less drastic situations we all face in life, the techniques

of nonviolent communication worked out in Marshall Rosenberg, *Nonviolent Communication: A Language of Life* (Encinitas, CA: Puddle-Dancer Press) are very useful.

9. M. K. Gandhi, *Hind Swaraj or Indian Home Rule* (Ahmedabad, Gujarat: Navajivan, 1938), 70.

10. M. K. Gandhi, *Satyagraha in South Africa* (Ahmedabad: Navajivan, 1928), 433.

11. Staughton Lynd and Alice Lynd, *Nonviolence in America* (Maryknoll, NY: Orbis, 1995), 399.

12. Council for a Parliament of the World's Religions, *Declaration toward a Global Ethic* (Chicago: Council for a Parliament of the World's Religions, 1993), 5.

13. N. K. Bose, ed., *Selections from Gandhi* (Ahmedabad, Gujarat: Navajivan, 1948), 221.

14. Hadith of Jabir, 1497.

15. M. K. Gandhi, "Nonviolent Resistance," on the train to Wardha, April 5, 1942, in *Collected Works of Mahatma Gandhi* 82, no. 199.

16. Ralph Summy, "Nonviolence and the Case of the Extremely Ruthless Opponent," *Pacifica Review* 6, no. 1 (May 1994): 1–29.

17. These five practices are the basis of a complete campaign strategy based on nonviolent principles, offered as Metta's Roadmap, mettacenter.org/roadmap.

18. We recommend passage meditation as taught by Sri Eknath Easwaran. See easwaran.org or our e-book, *Meditation for Peace-makers*, at mettacenter.org/research-education/publications.

19. John Malkin, "In Engaged Buddhism, Peace Begins with You," *Shambala Sun* (July 2003).
20. M. K. Gandhi, *Young India*, May 11, 1931.
21. Pyarelal and Sushila Nayar, *In Gandhiji's Mirror* (Oxford: Oxford India Series, 2004), 213.
22. Consider, for example, the famous Robbers Cave experiment, detailed in Muzafer Sherif, *In Common Predicament* (Boston: Houghton Mifflin, 1966), and Muzafer Sherif et al., *The Robbers Cave Experiment* (Wesleyan, OH: Wesleyan University Press, 1961).
23. Pyarelal and Sushila Nayar, *In Gandhiji's Mirror*, 268.
24. Souad Dajani, "Nonviolent Resistance in the Occupied Territories: A Critical Reevaluation," in Stephen Zunes, Lester R. Kurtz, and Sarah Beth Asher (eds.), *Nonviolent Social Movements: A Geographical Perspective* (Malden, MA: Blackwell Publishers, 1999), 53–54.
25. The best clearinghouse for information about the growing movement for restorative justice is restorativejustice.org.
26. *India News*, October 1, 1994, 11.
27. For a full discussion of what I call "work" versus work, see Chapter 4 of Michael N. Nagler, *The Search for a Nonviolent Future*, 2nd ed. (Novato, CA: New World Library, 2004).
28. Arnold Toynbee, 1960, "India's Contribution to World Unity," *Azad Memorial Lectures*.
29. Quoted in Petra K. Kelly, *Thinking Green! Essays on Environmentalism, Feminism, and Nonviolence* (Berkeley, CA: University of California, 1994).

30. Erica Chenoweth and Maria J. Stephan, *Why Civil Resistance Works: The Strategic Logic of Nonviolent Conflict* (New York: Columbia University Press, 2011).
31. Nathan Stoltzfus, *Resistance of the Heart* (New York: W.W. Norton, 1996). I do not recommend the film based on this story because it overlooks the effectiveness of nonviolence in favor of Hollywood-style sexuality.
32. Stephen Zunes, Lester R. Kurtz, and Sarah Beth Asher (eds.), *Nonviolent Social Movements*, 151.
33. Henry David Thoreau, "Resistance to Civil Government," in Jeffrey S. Cramer (ed.) *Henry D. Thoreau: Essays* (New Haven: Yale University, 2013), 156–157. This essay was later known as "On the Duty of Civil Disobedience." It is not known whether Thoreau actually ever used the latter term.
34. M. K. Gandhi, *Satyagraha in South Africa*, trans. V. G. Desai (Ahmedabad, Gujarat: Navajivan Publishing House, 1950).
35. Stephen Zunes, "The Origins of People Power in the Philip-pines," in Stephen Zunes, Lester R. Kurtz, and Sarah Beth Asher (eds.), *Nonviolent Social Movements*, 129–157.
36. Kenneth Boulding, *The Three Faces of Power* (Newbury Park, CA: Sage Publications, 1989).
37. M. K. Gandhi, *Young India*, September 15, 1920.
38. See note 13 on previous page.
39. Adolfo Perez Esquivel, *Christ in a Poncho: Testimonials of the Nonviolent Struggles in Latin America* (New York: Orbis Books, 1984), 127.
40. M. K. Gandhi, *Harijan*, January 28, 1939.

41. See Richard Deats, “The Global Spread of Active Nonviolence,” in Walter Wink, ed., *Peace Is the Way* (Maryknoll, MA: Orbis Books, 2000). And much has happened since then!

42. The Metta Center created the Roadmap Project for exactly this purpose.

Visit mettacenter.org/roadmap for more information

لمزيد من القراءة والإطلاع

1. Ackerman, Peter, and Jack DuVall. A Force More Powerful: A Century of Nonviolent Conflicts. New York: St. Martin's Press, 2000.
2. Bartkowski, Maciej. Recovering Nonviolent History: Civil Resistance in Liberation Struggles. Boulder, CO: Lynn Rienner, 2013.
3. Chenoweth, Erica, and Stephan, Maria J. Why Civil Resistance Works: The Strategic Logic of Nonviolent Conflict. New York: Columbia University Press, 2011.
4. Easwaran, Eknath. Gandhi the Man. Petaluma, CA: Nilgiri Press, 1997.
5. Easwaran, Eknath. Nonviolent Soldier of Islam: A Man to Match his Mountains—Badshah Khan. Petaluma, CA: Nilgiri Press, 1984.
6. Gandhi, M. K. All Men are Brothers. Ahmedabad, Gujarat: Nava-jivan, 1960.
7. Gandhi, M. K. An Autobiography: The Story of My Experiments with Truth. Translated by Mahadev Desai. Boston: Beacon Press, 1927.
- Gandhi, M. K. Hind Swaraj or Indian Home Rule. Ahmedabad, Gujarat: Navajivan, 1938.
8. Gandhi, M. K. Satyagraha in South Africa. Translated by V. G. Desai. Ahmedabad, Gujarat: Navajivan, 1950.
9. Gandhi, M. K. Vows and Observances. Berkeley, CA: Berkeley Hills, 1999.

- Gandhi, Rajmohan. *Gandhi, His People, and the Empire*. Berkeley: University of California, 2008. (Probably the best all-round biography.)
10. King, Martin Luther, Jr. *A Testament of Hope: The Essential Writings and Speeches of Martin Luther King, Jr.* Edited by James Melvin Washington. San Francisco: Harper San Francisco, 1991.
11. Lynd, Staughton, and Alice Lynd. *Nonviolence in America: A Documentary History*. Maryknoll, NY: Orbis, 1995.
12. Mahoney, L., and L. Eguren. *Unarmed Bodyguards: International Accompaniment for the Protection of Human Rights*. West Hartford, CT: Kumarian, 1997.
13. McManus, Philip, and Gerald Schlabach (eds.). *Relentless Persistence: Nonviolent Action in Latin America*. Eugene, OR: Wipf and Stock Publishers, 2004.
14. Nagler, Michael. *The Search for a Nonviolent Future*. 2nd ed. Novato, CA: New World Library, 2004.
15. Prabhu, R. K., and U. R. Rao. *The Mind of Mahatma Gandhi*. Ahmedabad, Gujarat: Navajivan, 1960. (I consider this well-indexed collection the most useful all-round.)
16. Roberts, Adam, and Timothy Garton Ash. *Civil Resistance and Power Politics: The Experience of Non-violent Action from Gandhi to the Present*. Oxford: Oxford University, 2009.
17. Sharp, Gene. *The Politics of Nonviolent Action*. Boston: Porter Sargent, 1973.
18. Stoltzfus, Nathan. *Resistance of the Heart: Inter-marriage and the Rosenstrasse Protest in Nazi Germany*. New York: Norton, 1996.

19.Wink, Walter (ed.). Peace Is the Way: Writings on Nonviolence from the Fellowship of Reconciliation. New York: Orbis, 2000.

20.Zunes, Stephen, Lester R. Kurtz, and Sarah Beth Asher (eds.). Nonviolent Social Movements: A Geographical Perspective. Mal-den, MA: Blackwell Publishers, 1999.

ملخصات تدريبية وتنظيمية

1.Galtung, Johan. Conflict Transformation by Peaceful Means: The Transcend Method. New York: United Nations, 2000.

2.Hunter, Daniel. Direct Action Training Manual. 2010. E-book avail-able at trainingforchange.org/node/637. (Many other re-sources, including their Third-Party Nonviolent Intervention Curriculum, are available at trainingforchange.org.)

3.Moyer, Bill. The Movement Action Plan: A Strategic Framework De-scribing the Eight Stages of Successful Social Movements. 1987. Available online at historyisaweapon.com/defcon1/moyer-map.html.

Moyer, Bill, JoAnn McAllister, Mary Lou Finley, and Steven Soifer. Doing Democracy: The MAP Model for Organizing Social Movements. Gabriola Island, British Columbia: New Society Publishers, 2001.

طرائق

In addition to Gene Sharp's classic list, see now Andrew Boyd and Richard Miller's Beautiful Trouble: A Toolbox for Revolution. New York and London: OR Books, 2012. As with

Sharp, most but not all of these can be carried out with nonviolent intention.

فيديوهاات

Documentary histories of recent nonviolent insurrections.

A Force More Powerful. York Zimmerman, 2000. Three-part survey of several key resistance and insurrectionary movements. Film and book available from the International Center for Nonviolent Conflict.

Bringing Down a Dictator. York Zimmerman, 2001–2002. On the overthrow of President Milosevic by the 2000 Otpor student uprising in Serbia.

Pray the Devil Back to Hell. Passion River Films, 2009. Inspiring story of the successful women’s uprising in Liberia, which led to Nobel Prizes for Leemah Gbowee and others.

And finally: [because this is not a documentary] Gandhi. Columbia Pictures, 1982. Moving and for the most part highly accurate. See my audio talk for commentary, mettacenter.org/research-education/audio-resources-mp3/.

على الانترنت

1. In addition to private ventures such as gandhiserve.org and gandhi-foundation.net, the government of India has recently put online a nearly complete resource for the vast collection of writings by and about Gandhi, at gandhiheritageportal.org.
2. The most comprehensive resource on nonviolent campaigns, past and present, is the Global Nonviolent Action Database, nvdatabase.swarthmore.edu, housed at Swarthmore College under the direction of Professor George Lakey.

3. Regular writing and blogs on nonviolence are available at wag-ingnonviolence.org, popularresistance.org, fnvw.org (Friends for a Nonviolent World), gandhiking.ning.com (the Martin Luther King, Jr. Research and Education Institute, Stanford), and of course, met-tacenter.org.

إضاءات:

مرجعيات مفيدة

"اللاعنف قانون نوعنا." (ص 11)

والذي تفعله الساتياغراها في هذه الحالات ليس قمع السبب بل تحريره من القصور الذاتي وتأكيد تفوقها على الأحكام المسبقة والحقد وعواطف أخرى أكثر انحطاطاً. إن أراد المرء أن يعبر عن الأمر بطريقة مختلفة فالساتياغراها لا تستعبد بل تمنح سبباً للتحرر. (ص 21)

أنا لست ضدك وأنت لست ضدي بل نحن ضد المشكلة. (ص 25)

يجب أن نحاول ألا نهين أو نقبل الإهانة لأن هذا سيؤذي الجميع. (ص 25)

كلما ازداد احترامك لإنسانية خصمك كلما زادت فاعلية معارضتك لظلمه. (ص 26)

اللاتعاون الحقيقي هو اللاتعاون مع الشر وليس مع الأشرار. (ص 27)

كل عنف يبدأ من فشل أو رفض الاقرار بالآخر ككائن إنساني كامل، لذلك يجب وكلما ازداد العنف أن نوقظ للإنسانية الموجودة في الخصم. (ص 28)

التأمل وسيلة ضبط إنسانية عظيمة لأنها تربطنا بمجالات أعمق لإنسانيتنا. (صفحة 31)

اللاعنف قوة يحررها تغيير في الدافع السلبي. (ص 76)

لقد تعلمت من خلال التجربة المريرة أنّ الدرس الأسمى هو تحويل غضبنا، تماماً كما تتحول الحرارة إلى طاقة. لذلك حتى غضبنا يمكن أن يتحول إلى قوة تستطيع تحريك العالم. (ص 77)

دعونا لا ننسى أن حريتنا الشخصية من الغضب والخوف وإلى ما هنالك تحقق منفعة جيدة، وهذا يتحقق من خلال ممارسة اللاعنف. (ص 28)

الأشياء ذات الأهمية الأساسية للناس لا تتحقق بالمنطق فقط بل عليها أن تخاطب معاناتهم... إن أردت يتحقق أمرٌ مهمٌ حقاً ليس عليك إرضاء المنطق فقط بل عليك أن تحرك القلب أيضاً. (ص 35)

فلتكن بناءً متى استطعت ومُعيقاً متى كان ذلك ضرورياً. (ص 52)

ما قام به غاندي جعل من استمرار البريطانيين بحكم الهند مستحيلاً ولكنه سهل عليهم الخروج دون ضغائن وإذلال (ص 57)

يجرب الناس اللاعنف لأسبوع وعندما لا "يعمل" يعودون إلى العنف الذي فشل على مدى قرون. (ص 58)

في بعض الأوقات تغدو الأرقام أساسية ولكن وضوح الغاية والالتزام أساسيان على الدوام. (ص 66)

رغم قدرة الرموز على تحسين أو خلق الأفعال الحقيقية لا يجب أن تأخذ مكان الأفعال الحقيقية. (ص 68)

كلما أسرعنا في الاستجابة للصراع بشكل فاعل ولاعنف كلما تحملنا معاناة أقل في سبيل حل هذا الصراع. (ص 75)

كلما ازداد استعدادنا للمعاناة بشكل طوعي كلما كانت المعاناة المفروضة أقل وطأة. (ص 75)

في اللاعنف ليس علينا أن نختار بين الشيء الحقيقي والشيء الأكثر فعالية. (ص 80)

شكر وتقدير

يسعدني أن أكتب، على وجه الخصوص في عيد الشكر عام 2013، كلمات شكر للكثير ممن ساعدوني في وضع هذا الكتاب. أولاً أريد توجيه شكري واحترامي الشديد، كما هي العادة دومًا، إلى أستاذي سري اكناث إسوران (Sri Eknath Easwaran) الذي بدونه لم أكن لأملك الفهم أو الثقة للكتابة حول اللاعنف وغاندي، ولأحب وأدعم عائلتي الروحية ممن رافقوني في هذه الرحلة. أيضًا أريد أن أشكر كل فرد في مركز ميتا (Metta) خاصة ستيفاني فان هوك (Stephanie Van Hook) التي بالتزامها المتواصل لم تكن ميتا لتصبح كما نعرفها اليوم. أريد أيضًا شكر أنا لينبرغر (Anna Leinberger) التي مررت نسخة غير مُعدلة مما سيصبح لاحقًا "دليل اللاعنف" إلى بيرت كوهلر (Berrett-Koehler) وهذا ما قاد بدوره إلى أكثر التجارب المثمرة التي مررت بها مع أي ناشر. على الرغم من أنّ (BK) عائلتي بشكلٍ أو بآخر ولكنني أريد شكر كل من جيفان (Jeevan Sivasubramaniam) وعضو مجلس الإدارة الذي ارتأى منذ وقت طويل أنني بعلمي أضيف شيئاً إلى هدفهم "بناء عالم يلائم الجميع". وأريد شكر المحرر المستقل والمميز تود مانزا (Todd Manza) الذي أخرج الكتاب بكل إتقان من مخطوط كان مليئاً بالعيوب عندما وقع بين يديه، وأي خطأ بقي في هذا الكتاب ليس نتيجة عمله بل رغم كل العمل المتقن الذي قام به.

حول الكاتب

مايكل ناغلر هو أحد أهم الباحثين والناطقين باسم اللاعنف حول العالم، وهو بروفيسور فخري في الأدب الكلاسيكي والمقارن في جامعة كاليفورنيا-بيركلي. أسس برنامج دراسات الصراعات والسلام، وهو البرنامج الأكبر من نوعه في شمال أمريكا. يُعد ناغلر أيضًا مؤسس ورئيس مركز مِتّا للاعنف ومؤلف كتب: "أزمتنا الروحية"، و"البحث عن مستقبل لاعنفي"*، وقد تلقى عام 2002 جائزة الكتاب الأمريكي وتُرجمت أعماله إلى عدة لغات. ظهرت كتاباته في جريدة الـوول ستريت وغيرها. تكلم وكتب الكثير عن اللاعنف، والتأمل والسلام العالمي على مدى أكثر من ثلاثين عامًا. هو رئيس مجلس عمال السلام، وكان من بين المؤسسين الأوائل لقوات السلام المعروفة الآن بحركة حفظ السلام اللاعنفي العالمي التي عملت، وما زالت تعمل، كطرف ثالث حيادي وملتزم بالمناهج اللاعنفية في مايندانو-سيرلانكا وجنوب السودان وفي العديد من الأماكن الخطيرة لحماية الحياة البشرية ودعم الحقوق البشرية".

في الوقت الراهن يُعد تأسيس مركز مِتّا للاعنف عام 1982 أهم عمل قدمه مايكل ناغلر. يُنتج مركز مِتّا الكتب والأفلام والمدونات ومواد أخرى بالإضافة إلى أنه يطور ويلتزم بنموذج خارطة الطريق في الجوانب المرتبطة بالاستراتيجية اللاعنفية المتكاملة وإدارة الملاجئ وبرنامج بيس باراداييم راديو الذي يبث مرتين أسبوعيًا من KWMR في بوينت ريوس كاليفورنيا.

من بين الجوائز الأخرى تلقى مايكل جائزة جمنلال باجاج الدولية (Jamnalal Bajaj International Award) لتعزيز القيم الغاندية خارج الهند في عام 2007. ويُعدّ مايكل أحد تلامذة إكناث إسوران مؤسس مركز بلو ماونتنت للتأمل (easwaran.org). وقد عاش مايكل في معبد المركز في مارين كاوتني منذ 1970 وكان المسؤول عن تقديم برامجهم حول التأمل.

* صدرت الترجمة العربية لكتاب "البحث عن مستقبل لاعنفي" عن دار معابر عام 2009، ترجمة غياث جازي. [المحررة]

حول مركز مِتّا

يقع المركز الرئيسي لمتّا في بيتالوما بولاية كاليفورنيا. وهو مشروع غير ربحي مخصص لتعزيز اللاعنّف حول العالم. تأسس المركز في 1982 من قبل تلامذة سييري إكناث إسوران مؤسس مركز بلو ماونتّن للتأمل.

يصف البعض مركز مِتّا بالمنظمة "المتواضعة"، وهي تعمل على العديد من الجبهات والمستويات لإيصال رسالة اللاعنّف حول العالم. ويعد مركز مِتّا مرجعية للعديد من النشطاء والمعلمين ووسائل الإعلام ولأي أحد مهتم بالتعلم أكثر حول "أعظم قوة تملكها البشرية على الإطلاق". في مجلس المركز هناك البحاثة والمتدربين والمتطوعين بالإضافة إلى طاقم العمل، وجميعهم يعملون (من بين أمور أخرى) على وضع استراتيجية عظيمة تدعى بخارطة الطريق التي من شأنها جمع العديد من المشاريع القائمة لتعمل على مسار استراتيجي واحد ومنسجم مع المسارات الغاندية. أجرى مركز مِتّا استشارات في الهند مع قادة وأعضاء سابقين في شانتتي سينا (جيش السلام) الذي بدأه غاندي. يستضيف المركز، مرتين أسبوعيًا، برنامجًا إذاعيًا يدعى بيس باراداييم راديو، وقد أطلق المركز أفلامًا تدريبية صُنعت بشكل أساسي لصالح الأمم المتحدة.

تهدف كل هذه المشاريع إلى مساعدة الناس على استخدام اللاعنّف بشكل آمن وفعال. وقد جرّب غاندي بنفسه اللاعنّف المبدئي في كل جانب من جوانب الحياة تقريبًا، من الرعاية الصحية حتى الدفاع الوطني. فاللاعنف يملك القدرة على تغيير الثقافة البشرية بحيث لا يتم فقط التخلص من الأنظمة والظلم غير المرغوب بهما بل يمنعهما من التأثير على المجتمعات. ويمكن استخدامه لتحقيق تأثير جيد على أي فرد قادر على فهم مبادئه مع امتلاكه القدرة على خلق عالمٍ لواعفي.

تسهيل تحقيق هذا التغيير العظيم إحدى مهمة مركز مِتّا. للاطلاع على المزيد يمكن

زيارة الموقع التالي: mettacenter.org

الفهرس

7	تقديم
11	الفصل الأول: مقدمة في اللاعنف
13	الكر والفر والطريق الثالث
17	استخدامات اللاعنف
19	الساتياغراها: مصطلح جديد لمبدأ أبدي
24	الفصل الثاني: النية السليمة: بناء الروح اللاعنفية
25	الشخص ليس هو المشكلة
29	خمس ممارسات تدريبية أساسية لحياة لاعنفية
33	الفصل الثالث: الوسائل المناسبة: إدراك موقعنا
33	كم يلزم من اللاعنف؟
37	عندما لا ينفع أي شيء آخر
40	الفصل الرابع: استخدام القوة اللاعنفية
40	التناسية
42	فن المساومة (أو التسوية)
44	ما الذي نريده حقاً؟
46	البناء الصحيح: سر البرنامج البناء

54 الفصل الخامس: تمعن النظر في قلب الساتياغراها
55 رؤية النتائج الحقيقية
59 التعامل مع النجاح
63 أهمية (أو عدم أهمية) الأرقام
66 فائدة الرموز
69 هل بالإمكان إساءة استخدام اللاعنف؟
70 دور المعاناة في الساتياغراها
72 الصيام في الساتياغراها
74 الإمساك بزمام الأمور
76 الفصل السادس: ما الذي تعلمناه؟
78 طريقة في الوجود
80 حركة على امتداد العالم
98 شكر وتقدير
99 حول الكاتب
100 حول مركز متا

صدر عن دار معابر للنشر

- قاموس اللاعنف، جان ماري مولر، تقديم: د. وليد صليبي، ترجمة: محمد علي عبد الجليل (بالتعاون مع الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، بيروت)، 2007.
- التأمل، جدو كريشنامورتي، ترجمة وتقديم: ديمتري أفبيرينوس، 2008.
- على خطى غاندي، كاترين إنغرام، ترجمة: أديب خوري، تدقيق: ديمتري أفبيرينوس، 2008.
- المحبة في العمل، تيك نات هانه، ترجمة: غياث جازي، تدقيق: أكرم أنطاكي، 2008.
- كتابات وأقوال للمهاتما م. ك. غاندي، ترجمة: أكرم أنطاكي، مراجعة: هفال يوسف، 2009.
- فلسفة اللاعنف، ديفيد مكرينولدز، ترجمة: ديمتري أفبيرينوس، 2009.
- اللاعنف في التربية، جان ماري مولر، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، 2009.
- ليف تولستوي: مختارات من كتاباته الفكرية والفلسفية، ترجمة: هفال يوسف، 2009.
- سيمون فايل: مختارات، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، 2009.
- البحث عن مستقبل لاعنفي، مايكل ن. ناغلر، ترجمة: غياث جازي، 2009.
- أنا وأنت، مارتين بوهر، ترجمة: أكرم أنطاكي، 2010.
- التجذُر، سيمون فايل، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، 2010.
- ملكوت الله في داخلكم، ليف تولستوي، ترجمة: هفال يوسف، 2010.
- صوت الصمت، هيلينا بلاقاتسكي، ترجمة: أكرم أنطاكي، 2011.
- شبكة الفكر، جدو كريشنامورتي، ترجمة: يارا البرازي، 2011.

- من البيئة إلى الفلسفة، معين رومية، 2011.
- غاندي المتمرد، ملحمة مسيرة الملح، جان ماري مؤلر، ترجمة: محمد علي عبد الجليل، 2011.
- غاندي الإنسان، إكناث إيسوران، ترجمة غياث جازي، 2013.
- المنهج الحيوي الطاقى، ألكسندر لوون، ترجمة: نبيل سلامة، 2013.
- عودة إلى الذات، أكرم أنطاكي، 2013.
- التبادل المستحيل، جان بودريار، ترجمة: د. جلال بدلة، 2013.
- التاسوعية، هيلين بالمر، ترجمة: نبيل سلامة، 2014.
- الزمان والآخر، إيمانويل ليفيناس، ترجمة: د. جلال بدلة، 2014.
- القرب المعمي من الواقع، ميشيل بيتبول، ترجمة: موسى الخوري، 2014.
- تعليم جديد من أجل عالم مختلف، تأليف أديب الخوري، 2015.